السنة الواحدة والثلاثون - العدد العاشر - شوال ١٤٢٣ هـ - الثمن ١٠٠ قرش

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

وقفات بعد شهر الخير والبركات !!

الجهر بالقرآن مع السفرة الكرام !!

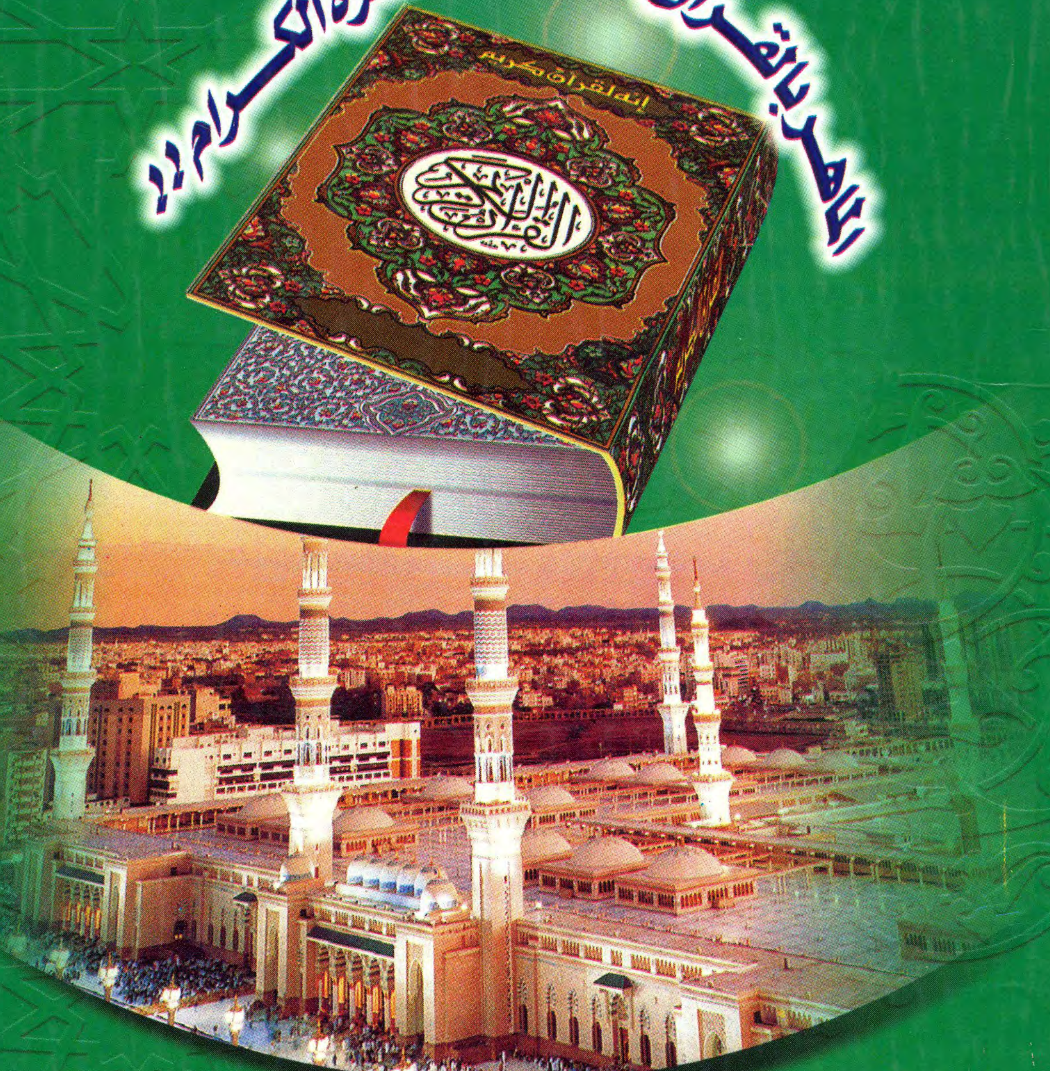

مضى رمضان فماذا نحن فاعلون ؟!

بسم الله الرحمن الرحيم

• صاحبة الامتياز •
جماعة أنصار السنة المحمدية

المشرف العام
د. جمال المراكبي

اللجنة العلمية
زكريا حسيني
جمال عبد الرحمن
مجدي عرفات

التوزيع الداخلي:
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

الاشتراك السنوي:
١- في الداخل ١٥ جنيها (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولارا أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك - على بنك فيصل الإسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر

السلام عليكم

كتمان السر

أسرَّ رجل إلى صديقه سرًا حديثًا، ثم قال له: أفهمت؟ قال: بل جهلت. ثم قال له: أحفظت؟ قال: بل نسيت.

وقيل لبعضهم: كيف كتمانك للسر؟ قال: أجحد المخبر، وأحلف للمستخبر.

وقال المهلب: أدنى أخلاق الشريف كتمان السر، وأعلى أخلاقه نسيان ما أسر إليه، فلا تودع سرَّك إلى طالبه، فالطالب للسر مذيع، ولا تودع مالك عند من يستدعيه، فالطالب للوديعة خائن، وأحزم الناس من لا يفشي سره إلى صديقه مخافة أن يقع بينهما شر، فيفشيه عليه.

وقال حكيم: قلوب الأحرار قبور الأسرار، والطمأنينة إلى كل أحد قبل الاختيار حمق، وكتمان الأسرار يدل على جواهر الرجال!!

رئيس التحرير

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين - القاهرة
ت: ٣٩٣٦٥١٧ فاكس: ٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٣٩١٥٤٥٦

المركز العام: القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف: ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

في هذا العدد

الافتتاحية :	د . جمال المراكبى	٢
كلمة التحرير :	بقلم رئيس التحرير	٥
باب التفسير : سورة الممتحنة	د . عبدالعظيم بدوي	٩
باب السنة : الماهر بالقرآن.. مع السفرة الكرام!!	بقلم زكريا حسني محمد	١٢
الحجاب الشرعى للمرأة المسلمة	الشيخ صفوت نور الدين ـ رحمه الله	١٦
وقفات بعد شهر الخير	صلاح عبدالمعبود	٢٠
وانطلق الشيطان	صلاح عبدالخالق	٢١
من صفات أهل العلم	فهد بن عبدالرحمن اليحي	٢٤
سعة رحمة الله	أحمد طه نصر	٢٧
من دلائل النبوة	محمود عبدالرازق	٣٠
توحيد الأسماء والصفات	د . محمد خليل هراس ـ رحمه الله	٣٣
واحة التوحيد		٣٦
أقوال وأفعال خاطئة	د. طلعت زهران	٣٨
المبشرون بالجنة	محمد عبدالحكيم القاضي	٤٠
الاعلام بسير الإعلام	مجدى عرفات	٤٤
أطفال المسلمين	جمال عبدالرحمن	٤٦
مضار الابتداع	الشيخ على محفوظ	٤٨
اقرأ من مكتبة المركز العام	علاء خضر	٥٠
أسئلة القراء عن الأحاديث	أبو إسحاق الحويني	٥٣
الفتاوى	اللجنة	٥٦
فتاوى العثيمين		٥٨
صفة الرؤية	أسامة سليمان	٦٠
تحذير الداعية	على حشيش	٦٢
التوسل بين أهل السنة	معاوية هيكل	٦٦
قيام الليل	التحرير	٦٩

رئيس مجلس الإدارة

محمد صفوت نور الدين

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

مدير التحرير الفني

حسين عطا القراط

ثمن النسخة :

مصر جنيه واحد، السعودية ٦ ريالات، الإمارات ٦ دراهم، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكى، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

البريد الإلكتروني

المجلة	Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير	Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات	see@islamway.net
موقع المجلة على الإنترنت	www.altawhed.com

افتتاحية العدد

من خصائص الشريعة الإسلامية

بقلم
د. جمال المراكبي

«كفالة الحقوق والحريات»

هذا المبدأ فرع هام لأصل عظيم وثابت في الشريعة الإسلامية، فالحقوق والحريات إنما كفلتها شريعة الإسلام، فهي إذن تستمد قيمتها من قيمة المصدر الذي تستقي منه وهو الشريعة الإسلامية، فهي تستند إلى الشرع مباشرة وتستمد قوتها من قوته وخلودها من خلوده، وقدسيتها من قدسيته، فلا يملك أحد المساس بهذه الحقوق أو النيل منها مهما أوتي من قوة إلا إذا نال من شريعة الإسلام نفسها فسلبها قوتها ونحاها عن الواقع العملي، فخرج بذلك عن نطاق المشروعية.

من حقوق الأفراد في الإسلام

المساواة:

لقد قررت الشريعة الإسلامية المساواة بين بني البشر في أرقى صورها، فلم تعترف الشريعة بفروق مصطنعة تقوم على أساس من جنس أو لون أو لغة، فالناس جميعا سواء في أصل الخلقة ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاءً﴾ [النساء:١].

فالبشر جميعًا يرجعون إلى أصل واحد، خلقهم الله سبحانه من نفس واحدة ـ آدم عليه السلام ـ وخلق منها زوجها، وبث منهما رجالا كثيرًا ونساء، كان بهم إعمار الكون، فكيف يتمايز بعضهم على بعض على أسس واهية ما أنزل الله بها من سلطان.

إن الأساس الوحيد الذي يتفاضل الناس ويتمايزون على أساسه هو اتباع أوامر خالق الكون جل وعلا واجتناب نواهيه، وهو التقوى، وهو ما أمر الله به في صدر هذه الآية «اتقوا ربكم» فالتقوى هي الأساس الوحيد السليم الذي يتمايز به بنو البشر، ولا عبرة بما سواه، قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات:١٣] ـ فالإسلام لا يعرف العصبية ولا العنصرية، بل جعل التقوى هي الأساس الوحيد للتفاضل عند رب العالمين سبحانه وتعالى، قال الرسول ﷺ في خطبته

المأثورة في حجة الوداع: «أيها الناس إن ربكم واحـد، وإن أباكم واحـد، كلكم لآدم وآدم من تراب، أكرمكم عند الله أتقاكم ليس لعربي فضل على أعجمي، ولا لعجمي فضل على عربي، ولا لأحمر فضل على أبيض، ولا لأبيض فضل على أحمر إلا بالتقوى، ألا هل بلغت؟ اللهم فاشهد، ألا ليبلغ الشاهد منكم الغائب» أحمد والترمذي بسند حسن.

ويربي الإسلام في الإنسان هذا المبدأ وينميه ويرعاه حتى يكون أساسًا لحياة المسلمين، ويتجلى هذا النهج واضحا في إقامة الشعائر والعبادات التي فرضها الإسلام وحث عليها.

ففي الصلاة يصطف الناس جميعًا خلف إمامهم بلا تمايز بينهم، فالكل في موقف العبادة والتضرع والتذلل لله سواء، وفي الصوم يمتنع الجميع عن الطعام والشراب وسائر المفطرات طوال اليوم بلا تفرقة بين غني وفقير أو سوقة وأمير، وكذلك في الحج تتجلى المساواة في أروع صورها وأرقى معانيها فالكل في ملابس الإحرام سواء.

المساواة أمام القانون

لعل من أروع صور المساواة وأبرزها في الإسلام ما جاءت به الشريعة الخالدة من جعل الناس جميعا سواسية أمام قانونها، فتعاليم الإسلام يخضع لها الجميع دون تفرقة.

لقد قرر القرآن الكريم هذه المساواة التامة في كثير من آياته، وقررها النبي ﷺ في كثير من أحاديثه، فالناس جميعا متساوون في الحقوق والواجبات دون تفرقة بينهم لأجل اللون أو النسب أو الغنى والفقر، وفي ذلك تروي أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها أن قريشا أهمتهم المرأة المخزومية التي سرقت فقالوا: من يكلم فيها رسول الله ﷺ، ومن يجترئ على ذلك إلا أسامة - حب رسول الله ﷺ؟ فكلم أسامةُ رسول الله ﷺ فيها، فقال: أتشفع في حد من حدود الله؟ ثم قام فخطب فقال: «يا أيها الناس، إنما ضل من كان قبلكم أنهم كانوا إذا سرق الشريف تركوه، وإذا سرق الضعيف فيهم أقاموا عليه الحد. وأيم الله لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطع محمد يدها»، وفي رواية أخرى: «إنما هلك من كان قبلكم أنهم كانوا يقيمون الحد على الوضيع، ويتركوه على الشريف، والذي نفسي بيده لو فاطمة فعلت ذلك لقطعت يدها» رواهما البخاري (كتاب الحدود).

المساواة أمام القضاء

وهذا مظهر آخر من مظاهر المساواة التي لم تعرفها كثير من التشريعات حتى اليوم، فجميع المواطنين أمام القضاء في الدولة الإسلامية سواء. وقد جرى العمل في الشريعة على محاكمة الخلفاء والملوك والولاة أمام القضاء.

فهذا أمير المؤمنين علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - يفقد درعا له في مسيره لصفين، ثم يجدها بعد ذلك في يد يهودي، فقال لليهودي: الدرع درعي ولم أَبِعْ ولم أَهَبْ، فقال اليهودي: درعي وفي يدي، فقال علي: نصير إلى القاضي شريح، فقال شريح: قل يا أمير المؤمنين، فقال علي: نعم هذا الدرع التي في يد هذا اليهودي درعي لم أبِعْ ولم أهَبْ، فقال شريح: ما قولك يا يهودي؟ فقال: درعي وفي يدي، فقال شريح لعلي: ألك بينة يا أمير المؤمنين؟ قال علي: نعم قُنْبرُ والحسن يشهدان أن الدرع درعي، فقال شريح: شهادة الابن لا تجوز للأب، فقال علي: رجل من أهل الجنة لا تجوز شهادته؟! فقال اليهودي: أمير المؤمنين قدمني إلى قاضيه، وقاضيه قضى عليه، أشهد أن هذا هو الحق؛ وأشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله، وأن الدرع درعك يا أمير المؤمنين. [ذكر هذه القصة السيوطي بسند مجهول، وذكرها ابن كثير في البداية

جـ٨ ص٥ وفيها الرجل كان نصرانيا].

وبلغ حـرص الإسـلام في المسـاواة بين الخصوم أمام القضاء حدَّ مساواتهم في إقبال القـاضي عليـهم ونظره إليـهم، وقـد جـاء في خطاب عـمـر بن الخطاب إلى قـاضـيـه أبي موسى الأشعري: (واسِ بين الناس في مجلسك وفي وجهك وفي قضائك حتى لا يطمع شريف في حيفك، ولا ييأس ضعيف من عدلك).

المساواة بين الرجل والمرأة في التكليف والثواب

لم تعرف البشرية نظاما أعطى المرأة حقها وأنصفها مثل الإسلام، فالإسلام يهتم بها كأم وزوجـة، وأخت وابنة. فـقـد حـرص عليـهـا وحماها وسما بها إلى إنسانيتها فقد كانت في الجاهلية قبل الإسلام تعد من سقط المتاع.

والذين يطعنون في موقف الإسلام من المرأة إنما يطعنون في أهم مميزات النظام الإسلامي، وهي الحرص على المرأة وصيانتها، فالإسلام يسوي بين الرجل والمرأة في كل شيء إلا فيما اختلفت فيه طبيعة المرأة عن طبيعة الرجل.

الرجل والمرأة سواء في أصل الإنسـانيـة: ﴿يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى..﴾ والمرأة مكلفة بأركان الإيمان وأركان الإسلام، وبأحكام الشرع - إلا ما استثناه الشرع - وهي مكلفة بكل مـا في الإسـلام من أخـلاق وآداب مثلها في ذلك مثل الرجل.

والنظام الإسلامي يجعل للمرأة وظيفتها وللرجل وظيـفتـه، ووظيـفة المرأة الرئيسيـة داخل بيتـهـا في القيـام على شئـون زوجـهـا وأولادها، بينمـا يقـوم الرجل بالإنفـاق على المرأة، زوجةً كـانت أو أمـا أو بنتـا أو أختـا، والإسلام يجعل رئاسة الأسرة للرجل ﴿الرجال قوامون على النسـاء بما فـضل الله بعضـهم على بعض وبما أنفقوا من أموالهم﴾، فللرجل اختصاصات لا تشاركه فيها المرأة، وللمرأة اختـصاصـات لا يشاركـهـا فـيـهـا الرجل ولا يصلح لها ولا يحسن القيام بها، فمحاولة أحد الطرفين التعرض والتدخل في اختصاصات الطرف الآخـر يعـرض الأسـرة للارتبـاك والاضطراب ويسلمها للفوضى.

وفي العـمل السـيـاسـي صـان النظام الإسـلامي المرأة من الاصطلاع بشئـونه وذلك لأن الأصل صيانة المرأة عن التبذل، وتهيئتها لوظيـفتـهـا التي جبلت عليـهـا وهي الأمومـة ورعاية بيتها والقيام على شئونه.

لذلك حسم النبي ﷺ هذه المسألة بقوله في تولي المرأة العمل السـيـاسي: «لن يفلح قـوم ولَّوْا أمـرهم امـرأة» رواه البـخـاري - كـتـاب المغازي.

لذا أجمع المسلمون على أن المرأة لا تتولى منصب الخـلافـة أو الإمـارة العـامـة، وذهب جمهور الفقهاء إلى عدم جواز توليها القضاء.

قال الإمام البغوي رحمه الله: اتفقوا على أن المرأة لاتصلح أن تكون إمامًا ولا قاضيا؛ لأن الإمام يحتاج إلى الخروج لإقامة أمر الجهاد والقيام بأمور المسلمين، والقاضي يحتاج إلى البـروز لفصل الخـصـومـات، والمرأة عـورة لا تصلح للبروز، وتعجز - لضعفها - عند القيام بأكـثـر الأمـور، ولأن المرأة نـاقـصـة؛ والإمـامـة والقضاء من كمال الولايات؛ فلا يصلح لها - أي للولاية والقـضـاء - إلا الكامل من الرجـال، ولا يصلح لهـا الأعمى لأنه لا يمكنه التـمـيـيـز بين الخصوم. أهـ.

[شرح السنة للبغوي ج١٠ ص٧٧]

وهكذا نرى حكمة التشريع الإسلامي فهو يحـقق المصـالح ويجنب النـاس المفـاسـد لأنه تشريع الحكيم الحميد، ولن يفلح المسلمون إلا إذا تمسكوا بشرعهم واعتصموا بدينهم.

وفق الله جميع المسلمين لما يحب ويرضى.

والحمد لله رب العالمين.

ومضى رمضان فماذا نحن فاعلون!!

رئيس التحرير

جمال سعد حاتم

الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، مالك يوم الدين. إلهنا: بَلَّغْتَنَا شهر الصيام فلك الحمد، وألبستنا لباس الصحة والعافية فلك الحمد. أعطيت من شئت بفضلك، ومنعت من شئت بعدلك، ولا تظلم من عبيدك أحدًا.. وبعد..

فإن لكل شيء خلقه الله بداية ونهاية!! فالحياة لها بداية ونهاية... والإنسان والحيوان والسموات والأرض والشمس والقمر، والنجوم، والدواب، وكل المخلوقات لها بداية ونهاية. والبداية والنهاية سنة كونية ربانية، لا تقتصر على مخلوقات بعينها فإن الأمم والدول لها بداية ونهاية، وكذلك الأيام والساعات.

وهذا شهر رمضان قد رحلت أيامه، وانقضت ساعاته، وفنيت لحظاته، بالأمس كنا فرحين باستقباله، واليوم قد بدا حزننا لفراقه، وكم بين فرح التلاق ولوعة الفراق!!

حال المسلمين بعد رمضان !!

ومضى رمضان وسنة الله تعالى في هذه الحياة الدنيا تعاقب الليل والنهار، وهكذا الحياة، شهر يعقبه شهر، وعام يخلفه عام، ﴿يقلب الله الليل والنهار إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار﴾. وهذه الأيام تتوالى علينا، وكل يغدو، فمعتق نفسه أو موبقها. قال الشاعر:

تمر بنا الأيام تترى وإنما
نساق إلى الآجال والعين تنظر
فلا عائد ذاك الشباب الذي مضى
ولا زائل هذا المشيب المكَدر

وخير من هذا قول الله تعالى: ﴿وتلك الأيام نداولها بين الناس وليعلم الله الذين آمنوا ويتخذ منكم شهداء والله لا يحب الظالمين﴾.

ولكن يبقى السؤال الذي يطرح نفسه: ما حالنا بعد رمضان؟!! وهل هناك وجه للمقارنة بين حال بعض الناس في رمضان وبعد رمضان؟!!

ولزامًا على كل واحد منا، أن يصدق في جوابه مع نفسه وأن يتجرد عن أحابيل الشيطان وتلبسه وأن يترك التماس الأعذار الواهية التي يسلي بها نفسه.

والجواب عن هذا السؤال ما نراه ونلمسه من حال بعضنا. فبعض منا يكون متلبسًا ببعض الآثام قبل شهر رمضان فيتأثر بروحانية الشهر، وسكينة الصيام فيعزم على ترك ما سلف من ماضيه ويطلّقه طلاقًا بائنًا لا رجعة فيه. وهذا الصنف إن صدق في عزمه، فسيرى من الله ما يسره ﴿فلو صدقوا الله لكان خيرًا لهم﴾ فالخير كله سببه الصدق مع الله عز وجل!!

●● فيا من تلوث في أوحال المعاصي، من سخرية وسماع ونظر إلى ما حرم الله، وغير ذلك من الآثام، احمد الله الذي بلّغك ختام رمضان، واجعل من هذا الشهر المبارك مرحلة تنقية وتهذيب لسلوكك وأخلاقك. واعلم أن الله يتوب على من تاب قال تعالى: ﴿وإني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحًا ثم اهتدى﴾ وقال تعالى: ﴿وتوبوا إلى الله جميعًا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون﴾. وقال جل ذكره: ﴿فمن تاب من بعد ظلمه وأصلح فإن الله يتوب عليه﴾. وقال عز وجل: ﴿والذين عملوا السيئات ثم تابوا من بعدها وآمنوا إن ربك من بعدها لغفور رحيم﴾.

وتذكر قول نبيك ﷺ: «إن الله تعالى يبسط يده بالليل ليتوب مسيئ النهار، ويبسط يده بالنهار ليتوب مسيئ الليل» رواه مسلم. عن أبي موسى رضي الله تعالى عنه.

فلنعزم إخوة الإسلام على التوبة النصوح، ولنغتنم ذلك قبل فوات الأوان، فما زالت سكينة الصيام قريبة العهد.

●● وأما القسم الآخر من الناس فهو الذي فرّط في تلك الثروة العظيمة ولم يرعها حق رعايتها فحرم نفسه خيرًا كثيرًا، واكتسب وزرًا كبيرًا. وهذا الصنف هو الذي لم يردعه صيامه عن الآثام، ولم يتغير عن ماضيه قبل رمضان. بل عاد يتخبط في معاصيه وآثامه. وأصر على ما كان عليه. ومثل هذا يقال له: اتق الله يا عبد الله، واعلم أن ربك مطلع عليك عالم بما تقول وتفعل، فدع عنك الإصرار على الذنوب

يا من فرطت في تلك الثروة العظيمة ولم ترعها حق رعايتها فحرمت نفسك خيراً كثيراً، واكتسبت وزراً كبيراً ولم يردعك صيامك عن الآثام ولم تتغير عن ماضيك قبل رمضان!!

اتق الله يا عبد الله واعلم أن ربك مطلع عليك عالم بما تقول وتفعل فدع عنك الإصرار على الذنوب!!

من كان عليه قضاء من رمضان فليبادر إلى صيامه ثم يتبعه بست من شوال ليتحقق له بذلك إكمال الصيام المفروض ويدرك فضل الست من شوال !!

مضى رمضان وسنة الله في هذه الحياة تعاقب الليل والنهار وهذه الأيام تتوالى علينا، وكل يغدو فمعتق نفسه أو موبقها !!

وتذكّر قول الله تعالى: ﴿ والذين إذا فعلوا فاحشة أو ظلموا أنفسهم ذكروا الله واستغفروا لذنوبهم ومن يغفر الذنوب إلا الله ولم يصروا على ما فعلوا وهم يعلمون ﴾.

أناس زادهم الصيام إيمانًا !!

●●والقسم الثالث من الناس زادهم الصيام إيمانًا فزاد حبهم للخير بجميع أنواعه من صيام وصدقة، وصلاة، وبر، وصلة رحم، وهؤلاء خير الأقسام وأفضلها عند الله... نسأل الله أن نكون من أولئك الذين نفعهم الله بصيامهم وقيامهم

صيام القضاء ثم الست من شوال !!

فقد ثبت في الحديث الذي أخرجه مسلم عن أبي أيوب الأنصاري رضي الله عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «من صام رمضان ثم أتبعه ستًا من شوال كان كصيام الدهر».

لكن يقال قبل ذلك: من كان عليه قضاء من رمضان فليبادر إلى صيامه ثم يتبعه بست من شوال ليتحقق له بذلك إكمال الصيام المفروض. ويتم له إدراك فضل الست من شوال بعد ذلك وفي صيام الست من شوال أمور ينبغي التنبيه عليها:

●● من ذلك أن بعض الناس يكون عليه قضاء يوم أو يومين من رمضان فإذا صامها في شوال جعلها معدودة من صيام ستة أيام من شوال وهذا خلاف الصواب.

●● ومنه أيضًا أن بعض الناس يوجب صيام الست من شوال، وينكر ويعيب على من ترك صيامها أو صيام بعضها، وهذا الإنكار في غير محله، لأن صيامها من باب الترغيب في الخير، لا من باب الوجوب على المكلّف.

●● ومنه أيضًا أن بعض الناس يتحرج من صيام الست من شوال بحجة أنه إذا صامها ولو سنة واحدة، أصبحت واجبة عليه في كل سنة بعدها، وهذا من الجهل، لأن أصل صيامها ليس واجبًا في أصل الشرع. بل يؤجر من صام، ولا يؤزر من ترك. ولكنّه يكون قد فرط في خير كثير!!

●● ومن تلك الأمور أيضًا أن بعض الناس

يعتقد أن فضيلة صيام الست من شوال تكون بعد العيد مباشرة، وأن فضلها يقل فيما لو صامها في أوسط الشهر أو آخره.

وفي ذلك نوع من الحرج بلا علم. بل من شاء صامها في أول الشهر أو في أوسطه أو آخره وفي كل خير!!

●● ومنها كذلك أن البعض يظن أن أفضل صيامها لا يتحقق إلا بالتتابع في أيامها. وهذا يعد سابقة لا دليل عليها. والأمر في ذلك واسع. فقد قال أهل العلم أنه لا فرق بين أن يتابعها أو يتابعها أو يفرقها من الشهر كله وهما سواء.

فلنسارع إلى عمل الخيرات فقد مدح الله من كان هذا شأنه فقال تعالى مادحًا لأنبيائه الذين هم صفوة خلقه: ﴿إنهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغبًا ورهبًا وكانوا لنا خاشعين﴾.

وقال تعالى حاثًا عباده على ذلك: ﴿سارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين﴾. وأثنى على عباده المؤمنين فقال: ﴿إن الذين هم من خشية ربهم مشفقون. والذين هم بآيات ربهم يؤمنون. والذين هم بربهم لا يشركون. والذين يؤمنون ما ءاتوا وقلوبهم وجلة أنهم إلى ربهم راجعون. أولئك يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون﴾.

وأخرج أبو داود والحاكم والبيهقي عن سعد بن أبي وقاص رضي الله تعالى عنه عن النبي ﷺ أنه قال: «التؤدة في كل شيء خير إلا في علم الآخرة».

نسأل الله أن نكون من أولئك الذين نفعهم الله بصيامهم وقيامهم. اللهم اجعلنا من المسارعين إلى الخيرات في السر والعلن والقول والعمل. اللهم أعز الإسلام والمسلمين وأذل الشرك والمشركين. ودمِّر أعداء الدين من كل جنس ولون يا رب العالمين.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين!!

رئيس التحرير

لزامًا على كل مسلم أن يصدق مع نفسه وأن يتجرد عن أحابيل الشيطان وتلبسه وأن يترك التماس الأعذار الواهية!!

يا من تلوث في أوحال المعاصي من سخرية وسماع ونظر إلى ما حرم الله وغير ذلك من الآثام، احمد الله الذي بلغك ختام رمضان واجعل من هذا الشهر المبارك مرحلة تنقية وتهذيب لسلوكك وأخلاقك والله يتوب على من تاب!!

سورة الممتحنة

الحلقة الأخيرة

بقلم
د.عبد العظيم بدوي

﴿ وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ. يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَن لاَّ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلادَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ. يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ ﴾ [الممتحنة].

انتهينا في العدد الماضي - عدد شعبان - من الحديث عن حكم الله تعالى الذي ينهى فيه المسلمين عن الزواج بزوجة كافرة والإمساك بها، وأن الله تعالى هو العليم بما يصلح عباده، حكيم في ذلك، واليوم نكلم إن شاء الله.

تفسير الآيات

قال تعالى: ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُمْ مِثْلَ مَا أَنْفَقُوا ﴾.

عن الزهري قال: أقرّ المؤمنون بحكم الله فأدّوا ما أُمِرُوا به من نفقات المشركين التي انفقوها على نسائهم، وأبى المشركون أنْ يُقروا بحكم الله فيما فَرَض عليهم من أداء نفقات المسلمين فقال الله تعالى للمؤمنين به ﴿ وَإِنْ فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ.. ﴾ --.الآية، فلو أنها ذهبت بعد هذه الآية امرأةٌ من أزواج المؤمنين إلى المشركين ردّ المؤمنون إلى زوجها النفقةَ التي أنفق عليها من العقب الذي بأيديهم، الذي أمروا أن يردّوه على المشركين من نفقاتهم التي أنفقوا على أزواجهم اللاتي آمنّ وهاجرن، ثم ردّوا إلى المشركين فضلا إن كان بقي لهم، والعقب: ما كان بأيدي المؤمنين من صداق نساء الكفار حين آمنّ وهاجرن.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما: أنه فسّر العقب بالغنيمة (فعاقبتم) أي غنمتم وعلى القولين يكون المعنى: أن يعطي المؤمنون مَنْ فرّت زوجته من المؤمنين إلى أهل الكفر ما أنفق عليها، إذا كانت لهم على أهل الكفر عُقْبَى، إما بغنيمة يُصيبُونها منهم، أو بلحاق نساء بعضهم بالمؤمنين.

﴿ وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنْتُمْ بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴾ أي خافوا الله الذي صدّقتم به، فاتقوه بأداء فرائضه، واجتناب معاصيه.

وقول الله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ﴾. وقد كان رسول الله ﷺ يتعاهد النساء بهذه البيعة يومَ العيد، كما في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: شهدتُ الصلاةَ يومَ الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمرَ وعثمانَ رضي الله عنهم، فكلهم يُصلّيها قبلَ الخطبة ثم يخطب بعدُ، فنزل نبيّ الله ﷺ، فكأني أنظر إليه حين يُجَلّس

الرجالَ بيده، ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساءَ مع بلال، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا...﴾ حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: أَنْتُنَّ على ذلك؟ قالت امرأةٌ واحدةٌ لم يُجِبْه غيرُها: نعم يا رسول الله». وإنما خُصَّتِ البيعةُ بهذه الأمور لأنها أعظم الموبقات، فمن اجتنبها فقد فاز ونجا، ومن اقترف منها شيئًا فقد خاب وخسر، إلا أن يتوب فيتوب الله عليه.

وأوّل هذه الأمور: الشرك بالله، فإنه من محبطات الأعمال، كما قال الله تعالى لنبيه ﷺ ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر:٦٥]. وقال تعالى: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَعْمَالُهُمْ كَرَمَادٍ اشْتَدَّتْ بِهِ الرِّيحُ فِي يَوْمٍ عَاصِفٍ لاَ يَقْدِرُونَ مِمَّا كَسَبُوا عَلَى شَيْءٍ ذَلِكَ هُوَ الضَّلاَلُ الْبَعِيدُ﴾ [إبراهيم:١٨]. فاللّهَ اللّهَ عبادَ الله، إياكم والشرك فـ ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة:٧٢]. وعليكم بالتوحيد فإنه «من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة» (مسلم:٩٢). عاجلا أو آجلا، فإنه يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان». ... ويقول في الحديث القدسي: «يا ابن آدم لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقُرابها مغفرة» (الترمذي:٣٦٠٨).

والأمر الثاني: السرقة، وهي من كبائر الذنوب، قال تعالى: ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالاً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [المائدة:٣٨]. وهي أكلٌ لأموال الناس بالباطل، والله عز وجل يقول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَكُمْ بِالْبَاطِلِ إِلاَّ أَنْ تَكُونَ تِجَارَةً عَنْ تَرَاضٍ مِنْكُمْ وَلاَ تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا. وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ عُدْوَانًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [النساء:٢٩،٣٠].

ولا يجوز لامرأة أن تأخذ من مال زوجها شيئًا إلا بإذنه، إلا أن يكون ضنينا بما لها عليه من النفقة الواجبة، فإنه يجوز لها أن تأخذ من ماله ما يكفيها بالمعروف، غير مسرفة ولا مفسدة، كما في الحديث عن هند بنت عتبة أنها قالت: يا رسول الله، إن أبا سفيانَ رجلٌ شحيح، لا يعطيني من النفقة ما يكفيني ويكفي بنيّ، فهل عليّ جناح إنْ أخذتُ من ماله بغير علمه؟ فقال رسول الله ﷺ: «خُذِي من ماله بالمعروف ما يكفيك ويكفي بنيك».

الأمر الثالث: الزنا، وهو حرام، حرّمه الله ورسولُه، فهو حرام إلى يوم القيامة، قال تعالى: ﴿وَلاَ تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلاً﴾ [الإسراء:٣٢]. وقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ لاَ يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلاَ يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلاَّ بِالْحَقِّ وَلاَ يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا. يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا. إِلاَّ مَنْ تَابَ...﴾ [الفرقان: ٦٨- ٧٠]. وفي حديث الرؤيا الطويل قال ﷺ: «فانطلقنا فأتينا على مثل التنور» قال الراوي: وأحسب أنه كان يقول: «فإذا فيه لَغَطٌ وأصوات. قال: فاطّلعنا فيه فإذا فيه رجالٌ ونساءٌ عراةٌ، وإذا هم يأتيهم لهبٌ من أسْفَلَ منهم، فإذا أتاهم ذلك اللهبُ ضَوضوا. قال: قلتُ لهما ما هؤلاء؟ قال :قالا لي: انطلق، انطلق». ثم فسّرا له ما رأى فقالا: «وأما الرجالُ والنساءُ العراةُ الذين في مثل بناء التنّور فهم الزناة والزواني» فعلى المسلمين والمسلمات أن يحفظوا فروجهم، فإن الله تعالى قال: ﴿وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب:٣٥].

وقال ﷺ: «إذا صلت المرأة خمسها، وصامت شهرها، وحفظت فرجها، وأطاعت زوجها، قيل لها ادخلي الجنة من أي أبوابها شئت». وقال ﷺ: «من يضمن لي ما بين لحييه ورجليه أضمن له الجنة».

الأمر الرابع: قتل الأولاد، وهو يشمل قتلهم بعد وجودهم، كما كان أهل الجاهلية يقتلون أولادهم خشية الإملاق، ويشمل قتل الأجنة في البطون، كما قد يفعله بعض الجهلة من النساء من غير عذر، بل لغرضٍ فاسد، كأن تطلق وهي حامل فتريد أن تتخلّص من هذا الحمل الذي قد يَرْبُطها بمطلِّقها بشيء من العلاقة، أو أن تكون تتعاطى مانعًا من موانع الحمل فتحمل وهي تتعاطاه رغم أنفها، فيزعجها ذلك، فتبادر إلى طرحه، فهذا كله من قتل الأولاد الذي نهى الله عنه.

الأمر الخامس: أن لا يأتين ببهتانٍ يفترينه بين أيديهن وأرجلهنّ، وفسّره العلماء بولد الزنا، أي: تزني ذاتُ الزوج فتحمل، فينسب الولد إلى زوجها وليس منه، أو تَلْتَقِطُ المرأةُ لقيطًا وتقول لزوجها هذا ولدي منك.

الأمر السادس: أن لا يعصين رسولَ الله ﷺ في معروف، بل يُطِعْنَه في كل ما أمر به ونهى عنه، وهو ﷺ لا يأمر إلا بالمعروف، ولكن أراد الله أن يعلم عباده أنه لا طاعة لأحدٍ في معصية الله مهما كان.

وهكذا كان رسول الله ﷺ يبايع النساء، عن عائشة رضي الله عنها: أن رسولَ الله ﷺ كان يمتحن مَن هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لاَ يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلاَ يَسْرِقْنَ وَلاَ يَزْنِينَ وَلاَ يَقْتُلْنَ أَوْلاَدَهُنَّ وَلاَ يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلاَ يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾. فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «قد بايعتك» كلامًا، ولا والله ما مست يدُه يد امرأة في المبايعة قط، ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتُك على ذلك». وعن أميمة بنتِ رقيقة قالت: أتيْتُ رسول الله ﷺ في نساء لنبايعه، فأخذ علينا ما في القرآن أن لا نشرك بالله شيئًا الآية. وقال: «فيما استطعتن وأطقتن». قلنا: الله ورسوله أرحمُ بنا من أنفسنا، قلنا يا رسول الله ألا تصافحنا؟ قال: «إني لا أصافح النساء، إنما قولي لامرأةٍ واحدةٍ قولي لمائة امرأة». فصحّ عنه صلى الله عليه وسلم قولا وفعلا أنه لا يصافح النساء، ولنا فيه الأسوةُ الحسنة، كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأحزاب:٢١]. ثم إنه ﷺ بيّن عقوبة المصافحة فقال: «لأن يُطْعَنَ في رأس الرّجل بمخيطٍ من حديد خيرٌ له من أن يمسّ امرأةً لا تحلّ له». بل هناك ما هو أشدّ من ذلك، وهو أن المصافحة من زنا اليديْن، كما قال ﷺ: «كُتِبَ على ابن آدم نصيبُه من الزنا مدركٌ ذلك لا محالة، فالعينان زناهما النظر، والأذنان زناهما الاستماع، واللسان زناه الكلام، واليد زناها البطش، والرِّجل زناها الخُطَى، والقلب يهوى ويتمنى، ويصدّق ذلك الفرج ويكذّبه».

فإياك يا مسلم ومصافحة النساء، احذر أن تصافح امرأةً أجنبية، فقد عرفتَ ما فيه من الوعيد، واعلم أن المراد بالأجنبية كل امرأة لا تحرم عليك أبدا، فبنات عمّك وبنات عماتك، وبنات خالك وبنات خالاتك، وزوجة أخيك وأخت زوجتك، ونحو هؤلاء من النساء، لا تجوز مصافحتهنّ، لأنهنّ حلال لك.

ثم ختم الله السورة بما بدأها به من النهي عن موالاة الكافرين، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ﴾ من اليهود والنصارى، وسائر الكفار، وإن كان الغضب أخصّ باليهود، إلا أن كلّ كافر ملعون مطرودٌ من رحمة الله، وقوله تعالى: ﴿قَدْ يَئِسُوا مِنَ الآخِرَةِ كَمَا يَئِسَ الْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَابِ الْقُبُورِ﴾. فيه قولان: أحدهما: كما يئس الكفار الأحياء من قراباتهم الذين في القبور أن يجتمعوا بهم بعد ذلك، لأنهم لا يعتقدون بعثًا ولا نشورًا، فقد انقطع رجاؤهم منهم فيما يعتقدونه. والقول الثاني: معناه: كما يئس الكفار الذين هم في القبور من كلّ خير.

والله تعالى أعلم بمراده.

الماهر بالقرآن.. مع السفرة الكرام!!

إعداد: زكريا حسيني محمد

أخرج البخاري ومسلم في صحيحهما عن أبي هريرة رضي الله عنه أنه سمع النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به» اللفظ للبخاري وفي رواية أخرى: «ما أذن الله لشيء ما أذن للنبي يتغنى بالقرآن» وقال صاحب له: يريد يجهر به، وقال سفيان: تفسير يتغنى أي يستغني به.

وفي رواية لمسلم: «ما أذن الله لشيء كأَذَنه لنبي يتغنى بالقرآن يجهر به» وفي رواية له «كإِذنه».

هذا الحديث أخرجه البخاري في ثلاثة مواضع من صحيحه؛

الموضع الأول: في باب من لم يتغن بالقرآن وقوله تعالى: ﴿أولم يكفهم أنا أنزلنا عليك الكتاب يتلى عليهم﴾. تحت رقم (٥٠٢٣) ورقم (٥٠٢٤) مع اختلاف في الألفاظ يسير، وذلك في كتاب فضائل القرآن.

● *الموضع الثاني في كتاب التوحيد باب قول الله عز وجل «ولا تنفع الشفاعة عنده إلا لمن أذن له...» ورقمه (٧٤٨٢).*

الموضع الثالث في كتاب التوحيد أيضا باب قول النبي صلى الله عليه وسلم: «الماهر بالقرآن مع سفرة الكرام البررة وزينوا القرآن بأصواتكم». ورقمه (٧٥٤٤).

وأخرجه مسلم في كتاب «فضائل القرآن وما يتعلق به» باب «استحباب تحسين الصوت بالقرآن». بالأرقام من (١٨٤٥) إلى (١٨٥٠). مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ.

شرح الحديث

قوله صلى الله عليه وسلم: «ما أذن الله لشيء» في رواية «لم يأذن الله لشيء» بنفي المضارع والأولى بنفي الماضي ولا فرق بينهما من حيث المعنى، وفي رواية «لم يأذن الله لنبي» قال ابن حجر: كذا بنون وموحدة (باء) لهم، وعند الإسماعيلي (لشيء) بشين معجمة وكذا عند مسلم من جميع طرقه. ووقع في رواية سفيان كالجمهور وفسر سفيان التغني بالاستغناء.

قوله «ما أذن لنبي» كذا للأكثر، وعند أبي ذر «للنبي» بزيادة اللام، قال ابن حجر: فإن كانت محفوظة فهي للجنس (أي اللام) ووهم من ظنها للعهد، وتوهم أن المراد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم فقال: ما أذن للنبي صلى الله عليه وسلم وشرحه على ذلك.

قــــولــه «أن يتغنى» كذا لهم، قال ابن حجر وأخرجه أبو نعيم من وجه آخر عن يحيى بن بكير شيخ البخاري فيه بدون «أن» وزعم ابن الجوزي أن الصواب حذف «أن».

وقد سبق تفسير سفيان بن عيينة التغني بالاستغناء.

قوله: «وقال صاحب له يجهر به» الضمير في له يرجع لأبي سلمة، والصاحب المذكور هو عبد الحميد بن عبد الرحمن بن زيد بن الخطاب، بينه الزُّبيدي عن ابن شهاب في هذا الحديث أخرجه ابن أبي داود عن محمد بن يحيى الذهلي في «الزهريات».

وأما تفسير سفيان بن عيينة التغني بالاستغناء فقال ابن حجر: يمكن أن يستأنس له بما أخرجه أبو داود وابن الضريس وصححه أبو عوانة عن ابن أبي مليكة عن عبيد الله بن أبي نهيك قال: لقيني سعد بن أبي وقاص وأنا في السوق فقال: تجارٌ كَسَبَةٌ، سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: «ليس منا من لم يتغن بالقرآن».

وقد ارتضى أبو عبيد تفسير يتغنى بيستغني وقال إنه جائز في كلام العرب، فعلى هذا يكون المعنى: من لم يستغن بالقرآن عن الإكثار من الدنيا فليس منا، أي على طريقتنا. واحتج أبو عبيد أيضا بقول ابن مسعود: «من قرأ سورة آل عمران فهو غني» ونحو ذلك.

وقال ابن الجوزي: اختلفوا في معنى قوله يتغنى على أربعة أقوال؛ أحدها تحسين الصوت. والثاني الاستغناء، والثالث التحزن قاله الشافعي، والرابع التشاغل به تقول العرب: تغنى بالمكان: أقام به، قلت (القائل ابن حجر) وفيه قول آخر حكاه ابن الأنباري في «الزاهر» قال: المراد به التلذذ والاستحلاء له كما يستلذ أهل الطرب بالغناء، وفيه قول آخر حسن وهو أن يجعله هِجِّيرَاهُ(١) كما يجعل المسافر والفارغ هجيراه الغناء، قال ابن الأعرابي: كانت العرب إذا ركبت الإبل تتغنى وإذا جلست في أفنيتها وفي أكثر أحوالها، وسلم أن يكون هِجِّيراهم القراءة مكان التغني.

والذي يترجح من هذه الأقوال القول الأول وهو تحسين الصوت بالقراءة، فقد استدل أبو عاصم النبيل على تعيينه لهذا المعنى بما رواه بسنده عن عبيد بن عمير قال: «كان داود عليه السلام يتغنى - يعني حين يقرأ - ويَبْكي ويُبكي» وعن ابن عباس: أن داود كان يقرأ الزبور بسبعين لحنًا، ويقرأ قراءة يطرب منها المحموم. وكان إذا أراد أن يبكي نفسه لم تبق دابة في بر ولا بحر إلا أنصتت له واستمعت وبكت.

قال ابن حجر - رحمه الله - بعد أن ساق الأقوال وحججها: وفي الجملة ما فسر به ابن عيينة ليس بمدفوع، وإن كانت ظواهر الأخبار ترجح أن المراد تحسين الصوت، ويؤيده قوله «يجهر به» فإنها إن كانت مرفوعة قامت الحجة، وإن كانت غير مرفوعة فالراوي أعرف بمعنى الخبر من غيره ولا سيما إذا كان فقيهًا، وقد جزم الحليمي أنها من قول أبي هريرة.

ثم قال ابن حجر: ولا شك أن النفوس تميل إلى سماع القراءة بالترنم أكثر من ميلها لمن لا يترنم، لأن للتطريب تأثيرًا في رقة القلب وإجراء الدمع. وكان بين السلف اختلاف في جواز القراءة بالألحان، أما تحسين الصوت وتقديم حسن الصوت على غيره فلا نزاع في ذلك. ومحل الاختلاف في القراءة بالألحان إذا لم يختل شيء من الحروف عن مخرجه، فلو تغير قال النووي في التبيان: أجمعوا على تحريمه، ولفظه: أجمع العلماء على استحباب تحسين الصوت بالقرآن ما لم يخرج عن حد القراءة بالتمطيط، فإن خرج حتى زاد حرفًا أو أخفاه حرم.

قال ابن حجر بعد أن ساق كلام العلماء مفصلا: ولعل هذا مستند من كره القراءة بالأنغام، لأن الغالب على من راعى الأنغام ألا يراعي الأداء، فإن وجد من يراعيهما معًا فلا شك في أنه أرجح من غيره لأنه يأتي بالمطلوب من تحسين الصوت ويجتنب الممنوع من حرمة الأداء والله أعلم. [انتهى من فتح الباري

(١) هِجِّيراه: ديدنه وعادته.

بتصرف].

والحديث كما ترى أخي المسلم ساقه الإمام البخاري في كتاب فضائل القرآن، وفي كتاب التوحيد من صحيحه، وهذا الشرح المتقدم خاص بالندب لتحسين الصوت بالقرآن، وأما عن إيراد الحديث في كتاب التوحيد والرد على الجهمية فأريد به النص على إثبات صفة السمع لله تعالى، كما في قوله ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي...» إلخ الحديث. فمعنى «ما أذن» أي: ما استمع، وصفة السمع ثابتة لله عز وجل بالكتاب والسنة وأقوال السلف في ذلك، فأما الكتاب فالآيات التي تثبت السمع لله عز وجل كثيرة في نحو خمسين موضعًا، منها قوله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ [المجادلة: ١]. وأما من السنة فالأحاديث كثيرة أيضًا منها الحديث الذي معنا، وحديث عائشة قالت: الحمد لله الذي وسع سمعه الأصوات، لقد جاءت المجادلة إلى النبي ﷺ تكلمه وأنا في ناحية البيت، ما أسمع ما تقول، فأنزل الله عز وجل: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا...﴾ الآية. [أخرجه أحمد والبخاري تعليقًا بصيغة الجزم في كتاب التوحيد باب: ﴿وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾].

وحديث أبي موسى عند البخاري قال: كنا مع النبي ﷺ في سفر، فكنا إذا علونا كبرنا، فقال: «أربعوا على أنفسكم، فإنكم لا تدعون أصمَّ ولا غائبًا، تدعون سميعًا بصيرًا قريبًا...» الحديث، وحديث عائشة عند البخاري أيضًا قال النبي ﷺ: «إن جبريل ناداني قال: إن الله قد سمع قول قومك وما ردوا عليك». والأحاديث في هذا الباب كثيرة.

وأما أقوال السلف فمنها قول ابن خزيمة: وتدبروا أيها العلماء ومقتبسوا العلم مخاطبة خليل الرحمن أباه وتوبيخه إياه لعبادة ما كان يعبد فاعقلوا- بتوفيق خالقنا جل وعلا- صحة مذهبنا وبطلان مذهب مخالفينا من الجهمية المعطلة، قال خليل الرحمن ﷺ لأبيه: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ وَلاَ يُغْنِي عَنْكَ شَيْئًا﴾، أفليس من المحال يا ذوي الحجا أن يقول خليل الرحمن لأبيه آزر: ﴿لِمَ تَعْبُدُ مَا لاَ يَسْمَعُ وَلاَ يُبْصِرُ﴾ ويعيبه بعبادة ما لا يسمع ولا يبصر، ثم يدعوه إلى عبادة من لا يسمع ولا يبصر كالأصنام التي هي من الموتان لا من الحيوان، فكيف يكون ربنا الخالق البارئ السميع البصير، [كيف يكون] كما يصفه هؤلاء الجهال، عز ربنا وجل أن يكون غير سميع ولا بصير، فهم كعابدي الأوثان أو كعابدي الأنعام: ﴿أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً﴾. فأعلمنا عز وجل أنّ من لا يسمع ولا يعقل كالأنعام بل هم أضل سبيلاً. [كتاب التوحيد وإثبات صفات الرب (ص٤٧) بتصر].

وقال القسطلاني في إرشاد الساري: «وقد علم بالضرورة من الدين، وثبت في الكتاب والسنة بحيث لا يمكن إنكاره ولا تأويله أن الباري- تعالى- حي سميع بصير، وانعقد إجماع أهل الأديان، بل جميع العقلاء على ذلك» [ج١٠، ص٣٧٠ نقلاً عن شرح كتاب التوحيد للشيخ الغنيمان].

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية في مجموع الفتاوى: «فالسمع والبصر والحياة والعلم والقدرة والكلام ونحوها صفات كمال لا نقص فيها، فمن اتصف بها أكمل ممن لم يتصف بها، والنقص في انتفائها لا في ثبوتها بإجماع العقلاء». [ج٦ ص٨٨].

قال ابن حجر في الفتح: «قال ابن بطال: غرض البخاري من هذا الباب الرد على من قال: إن معنى «سميع بصير» عليم، قال: ويلزم من قال ذلك أن يسويه بالأعمى الذي يعلم أن السماء خضراء ولا يراها، والأصم الذي يعلم أن في الناس أصواتًا ولا يسمعها، ولا شك أن من سمع وأبصر أدخل في صفة الكمال ممن انفرد بأحدهما دون الآخر، فصح أن كونه سميعًا بصيرًا يفيد قدرًا زائدًا على كونه عليمًا، وكونه سميعًا بصيرًا، يتضمن أنه يسمع بسمع ويبصر ببصر، كما تضمن كونه عليمًا أنه يعلم بعلم، ولا فرق بين إثبات كونه

سميعًا بصيرًا
وبين كونه ذا سمع وبصر، وهذا قول أهل السنة قاطبة». [ج١٣ ص٣٧٣].

وقال البيهقي: (السميع من له سمع يدرك به المسموعات، والبصير من له بصر يدرك به المرئيات، وكل منهما في حق الباري صفة قائمة بذاته). [الاعتقاد (ص٥٨)].

روى أبو داود بسند على شرط مسلم عن أبي هريرة أنه قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا ﴾ فوضع إبهامه على أذنه، والتي تليها على عينه، وقال: رأيت رسول الله ﷺ يقرأ ويضع أصبعيه. [سنن أبي داود (ج٥، ص٩٧)].

قال البيهقي عقب روايته لهذا الحديث: «والمراد بالإشارة في هذا الخبر تحقيق الوصف لله عز وجل- بالسمع والبصر، فأشار إلى محل السمع والبصر منا لإثبات صفة السمع والبصر لله- تعالى- وأفاد هذا الخبر أنه سميع بصير، له سمع وبصر، لا على معنى أنه عليم، إذ لو كان بمعنى العلم لأشار في تحقيقه إلى القلب لأنه محل العلوم منا». [الأسماء والصفات (ص١٧٩)].

ومن ذلك يتبين لك أخي المسلم أن الله تعالى سميع بسمع، لا كما تقول المعتزلة: سميع بلا سمع، ولا كما تقول الجهمية: سميع بمعنى عليم، ولا كما تقول الأشاعرة: سميع بلا أذن.

فأما الأُذُنُ فإن لفظها لم يرد لا في كتاب ولا في سنة مضافًا إلى الله تعالى لا إثباتًا ولا نفيًا، فيجب علينا أن نسكت عنها ولا نلفظ بها مضافة إلى ربنا جل وعلا لا إثباتًا ولا نفيًا، كما هو مقرر: أن ما أثبته الله عز وجل لنفسه أو أثبته له رسوله ﷺ وجب علينا أن نثبته، وما نفاه الله عز وجل عن نفسه أو نفاه عنه رسوله وجب علينا أن ننفيه، وما لم يرد في الكتاب أو السنة لا إثباتًا ولا نفيًا وجب علينا أن نمسك عنه ولا نتكلم به.

والله عز وجل يعصمنا من الزلل ويقينا الخطأ والخطل في الاعتقاد والعمل.

والحمد لله أولاً وآخرًا، وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه.

امتداد معرض ابن تيمية السادس للكتاب

تعلن مكتبة ابن تيمية عن امتداد معرضها لنهاية شوال بمقر المكتبة ٢٥ شارع أبو عميرة - متفرع من شارع عثمان محرم - الطالبية - الهرم.
كما تعلن أيضًا عن تواجدها هذا العام بالمعرض الدولي لكتاب وصدور منشورات جديدة مثل - الصحيح من فضائل الصور للطرهوفي - وشفاء العليل بألفاظ الجرح والتعديل لأبي الحسن. ومجل الأصالة علاوة على كتب دور النشر السعودية والمصرية والكتب القديمة
الإدارة - الجيزة - تليفون: ٥٨٦٤٢٤ - ٧٧٩٤٢٦٧

«الحجاب الشرعي للمرأة المسلمة»

٢

بقلم
فضيلة الشيخ
محمد صفوت نور الدين

نورد في هذا العدد- إن شاء الله- أدلة الحجاب كما ناقشها العلماء رحمهم الله تعالى:

ومن الأدلة القرآنية على احتجاب المرأة وسترها جميع بدنها حتى وجهها، قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ...﴾، فقد قال غير واحد من أهل العلم إن معنى: يدنين عليهن من جلابيبهن: أنهن يسترن بها جميع وجوههن، ولا يظهر منهن شيء إلا عين واحدة، تبصر بها، وممن قال به ابن مسعود وابن عباس، وعبيدة السلماني وغيرهم.

فإن قيل: النظر في الآية الكريمة وهو قوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، لا يستلزم معناه ستر الوجه لغة، ولم يرد نصّ من كتاب الله، ولا سنة رسوله، ولا إجماع على استلزامه ذلك، وقول بعض المفسرين: إنه يستلزمه معارض بقول بعضهم: إنه لا يستلزمه، وبهذا يسقط الاستدلال بالآية على وجوب ستر الوجه.

فالجواب: أن في الآية الكريمة قرينة واضحة على أن قوله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾، يدخل في معناه ستر وجوههنّ بإدناء جلابيبهن عليها، والقرينة المذكورة هي قوله تعالى: ﴿قل لأزواجك﴾، ووجوب احتجاب أزواجه وسترهن وجوههن، لا نزاع فيه بين المسلمين، فذكر الأزواج مع البنات ونساء المؤمنين يدل على وجوب ستر الوجوه بإدناء الجلابيب كما ترى. ثم قال الشيخ الشنقيطي: ومن الأدلة على ذلك أيضا: ما قدّمنا في سورة النور في الكلام على قوله تعالى: ﴿ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها﴾، من أن استقراء القرآن، يدل على أن معنى إلا ما ظهر منها: الملاءة فوق الثياب، وأنه لا يصح تفسير إلا ما ظهر منها: بالوجه والكفين.. كما تقدم إيضاحه.

واعلم أن قول من قال: إنه قد قامت قرينة قُرآنية على أن قول الله تعالى: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ لا يدخل فيه ستر الوجه، وأن القرينة القرآنيّة المذكورة هى قوله تعالى: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾ قال: وقد دل عليه قوله: ﴿أن يعرفن﴾ على أنهن سافرات، كاشفات عن وجوههن، لأن التي تستر وجهها لا تعرف، باطل، وبطلانه واضح، وسياق الآية يمنعه منعًا باتًا، لأن قوله: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ صريح في منع ذلك.

وإيضاحه: أن الإشارة في قوله ﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾ راجعة إلى إدنائهن عليهن من جلابيبهن، وإدناؤهن عليهن من جلابيبهن، لا يمكن بحال أن يكون أدنى أن يعرفن بسفورهن، وكشفهن عن وجوههن، كما ترى، فإدناء الجلابيب، منافٍ لكون المعرفة، معرفة شخصية بالكشف عن الوجوه كما لا يخفى.

وقوله في الآية الكريمة: ﴿قل لأزواجك﴾: دليل

أيضا على أن المعرفة المذكورة في الآية، ليست بكشف الوجوه، لأن احتجابهن لا خلاف فيه بين المسلمين.. والحاصل أن القول المذكور تدل على بطلانه أدلّة متعددة:

الأول: سياق الآية كما أوضحناه آنفًا في قوله: «لأزواجك».

الثاني: أن عامة المفسرين والصحابة ومن بعدهم: فسروا الآية، مع بيانهم سبب نزولها: بأن نساء المدينة كن يخرجن بالليل، لقضاء حاجاتهن خارج البيوت، وكان بالمدينة بعض الفسّاق يتعرضون للإماء ولا يتعرضون للحرائر، ولا تمييز بين لباسهن، فأمر الله رسوله أن يأمر أزواجه وبناته، ونساء المؤمنين، أن يتميّزن في زيّهن عن زيّ الإماء، وذلك بأن يدنين عليهن من جلابيبهن فإذا فعلن ذلك، ورآهن الفسّاق علموا أنهن حرائر، ومعرفتهن بأنهن حرائر لا إماء، هو معنى قوله: ﴿ذلك أدنى أن يعرفن﴾ فهي معرفة بالصّفة، لا بالشخص، وهذا التفسير منسجم مع ظاهر القرآن كما ترى..

وهذا هو الذي فسّر به أهل العلم بالتفسير، هذه الآية وهو واضح، وليس المراد فيه أنّ تعرّض الفساق للإماء جائز، بل هو حرام، ولاشك أن المتعرّضين لهن، من الذين في قلوبهم مرض، وأنهم يدخلون في عموم قوله: ﴿والذين في قلوبهم مرض﴾، في قوله تعالى: ﴿لَئِنْ لَمْ يَنْتَهِ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ وَالْمُرْجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ لَنُغْرِيَنَّكَ بِهِمْ﴾.

وجاء في لسان العرب تعريف الجلباب بأنه: ثوب أوسع من الخمار، دون الرداء، تغطّى به المرأة رأسها وصدرها. وقيل: هو ثوب واسع، دون الملحفة، تلبسه المرأة، وقيل: هو ما تغطي به المرأة الثياب، من فوق كالملحفة، وقيل: هو الخمار، وفي حديث أم عطيه: تلبسها صاحبتها من جلبابها أي إزارها، وفي التنزيل العزيز: ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ قال ابن السكّيت: قالت العامرية: الجلباب الخمار، وقيل: جلباب المرأة ملاءتها التي تشتمل بها، واحدها جلباب، والجمع جلابيب.

الثالث: الفهم العمليّ لمعنى ﴿يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ﴾ إنّ من يتتبع أقوال أمهات المؤمنين، والصحابة وزوجاتهم وأعمالهمْ، يدرك أنهم رضي الله عنهم جميعًا، قد أبانوا ما يجب أن تعمله المرأة في تغطية وجهها بهذا الجلباب، مسارعة منذ نزلت الآية، ويستبعد أن عملهن ذلك عن عدم فهم للدلالة المطلوبة من نص الآية الكريمة.. كيف وهم أمام سمع وبصر رسول الله ﷺ، الذي يعلمهم ما خفي عليهم بالفهم أو العمل.

تقول عائشة رضي الله عنها في تزكيتها لنساء الأنصار: رحم الله نساء الأنصار، لما نزلت: ﴿يا أيها النبي قل لأزواجك﴾ الآية، شققن مروطهن، فاعتجرن بها، فصلّين، خلف رسول الله- وفي رواية الفجر- كأن على رؤوسهن الغربان.

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما نزلت هذه الآية ﴿يدنين عليهن من جلابيبهن﴾ خرج نساء الأنصار، كأنّ على رؤوسهن الغربان من السكينة، وعليهنّ أكسية سود يلبسنها وما ذلك إلا أن الرّجال كانوا يحضرون مجلس رسول الله ﷺ، ويبلّغون نساءهم بما نزل من تشريع، فيسارعن في التطبيق، وحسن الامتثال.

وعن ابن عباس في هذه الآية قال: أمر الله نساء المؤمنين إذا خرجن من بيوتهن في حاجة، أن يغطّين وجوههن من فوق رؤوسهن بالجلابيب، ويبدين عينًا واحدة.

وعائشة رضى الله عنها، تتحدث عن نفسها وعن نساء الصحابة ذلك الوقت، عندما قالت وهى

حاجّة، مع رسول الله ﷺ: فَكنّا و«نا»هنا للجمع لها ولنساء الرسول ﷺ، ولنساء الصحابة في ذلك الحج» نكشف عن وجوهنا، فإذا حاذينا الرجال، سدلنا الحجاب على وجوهنا، فإذا جاوزونا كشفناه، وهذا الحج هو حج الوداع.

وفي رواية: قالت: «كان الركبان يمرّون بنا ونحن محرمات مع الرسول ﷺ، فإذا حاذونا سدلت إحدانا جلبابها على وجهها من رأسها، فإذا جاوزونا كشفناه»(١) وهذا تطبيق عمليّ من نساء الصدر الأول، ومسارعة في الفهم، وهنّ القدوة، وبحضرة رسول الله ﷺ، في حجة الوداع، مع أن إحرام المرأة في وجهها، فكان تغطيته عند محاذاة الركبان، ولم يعتبره رسول الله ﷺ، في هذه الحالة من محظورات الإحرام، التي تستوجب الكفارة؛ مما يدل على وجوب ستر الوجه، مع أن المشروع في إحرام المرأة كشفه، وما ذلك إلا بوجود مانع قويّ بالتغطيه امتثالاً لأمر الله في الحجاب.

ولما كان كثير من أهل العلم يروّن كشف الوجه من واجبات الإحرام، فإن عمل عائشة رضى الله عنها ونساء الصحابة وأمهات المؤمنين، بالاحتجاب، وتغطية الوجه عند محاذاة الركبان، لا يعتبر مخالفة لمقتضيات الإحرام، وإنما عارضه ما هو أقوى منه دليلا، وأوجب في حق المرأة، وهنّ إذا لم يؤمرن صراحة من رسول الله ﷺ، فقد أقرهن، ومعلوم أن السنة النبوية في قوله وإقراره وعمله ﷺ.. وستر الوجه جاء فيه القول والإقرار.

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في فتاواه: وقد ثبت في الصحيحين وغيرهما: أن المرأة المحرمة تنهى عن النقاب والقفّازين، وهذا مما يدل على أن النقاب والقفّازين، كانا معروفين في النساء الّلاتى لم يحرمن، وذلك يقتضي ستر وجوههن وأيديهن.

الرابع: إذا علم أن الأدلة التي يستدل بها المجيزون على جواز كشف الوجه للأجانب من المرأة، هي أربعة، كما مرّ بنا(٢) من إحصاء الشيخ محمد بن عثيمين، رحمه الله.

فإن وجوه الاستدلال بعدم الجواز التى أوردها فضيلته عشرة؛ أربعة من كتاب الله، وستة من سنة رسول الله ﷺ، زادها بالحادي عشر وهو: الاعتبار الصحيح والقياس المطّرد. الذي جاءت به الشريعة الكاملة، وهو إنكار المفاسد ووسائلها والزّجر عنها، وإقرار المصالح ووسائلها والحث عليها.

وقال في ذلك: فكل ما كانت مصلحته خالصة أو راجحة على مصلحة فهو مأمور به أمر إيجاب أو أمر استحباب، وكل ما كانت مفسدته خالصة أو راجحة على مصلحة. فهو منهيّ عنه نهي تحريم، أو نهي تنزيه، وإذا تأملنا السّفور وكشف المرأة وجهها للرجال الأجانب، وجدناه يشتمل على مفاسد كثيرة، وإن قدّر فيه مصلحة فهي يسيرة منغمرة في جانب المفاسد.

ثم ذكر من هذه المفاسد أربعًا وهي:

١- الفتنة؛ فإن المرأة بنفسها فتنة فضلاً عما يجمّل وجهها ويبهّيه، ويظهره بالمظهر الفاتن، وهذا من أكبر دواعي الشرّ والفساد.

٢- زوال الحياء عن المرأة الذي هو من الإيمان، ومن مقتضيات فطرتها، فقد كانت المرأة مضرب المثل في الحياء يُقال: أشد حياءً من العذراء في

خـدرها، وزوال الحيـاء عن المرأة نقص في إيمانها، وخروج عن الفطرة التى خلقت عليها.

٣- افتتان الرجال بها، لا سيما إذا كانت جميلة، وحصل منها تملّق وضحك ومداعبة كما في كثير من الساخرات.

٤- اختلاط النساء بالرجال، فإن المرأة إذا رأت نفسها مساوية للرجل في كشف الوجه، والتجوّل سافرة لم يحصل منها حياء ولا خجل من مزاحمته، وفي ذلك فتنة كبيرة، وفساد عريض.

الخامس: إذا كان العلماء رحمهم الله يرون من العلل في الحجاب خوف الفتنة، التي قال فيها ﷺ: «ما تركت بعدي في الناس فتنة أضر على الرجال من النساء».

وأخبر ﷺ: «أن فتنة بنى إسرائيل كانت في النساء».

فقد جاءت محاذير عن إبداء الزينة الباطنة، كالنحر والصدر، وجاء الأمر من الله جلّت قدرته بحفظ النساء لفروجهن، وهذا يقتضى الأمر بالوسيلة المقرّبة إلى حفظ الفروج.

ولاشك أن زينة المرأة وجمالها الباطن في وجهها، الذي هو مجمع المحاسن فيها، ولم يرخص الله ولا رسول الله ﷺ لغير المحارم برؤيته إلا للخاطب «لعلّه يؤدم بينهما».. مما يدعو إلى إدراك الحكمة في التشريع في اعتبار الوجه، هو المقصود بالحجاب وإدنائه من أعلى الرأس، إلى النّحر والصدر، ليشمل الوجه. وعلة أخرى في هذا السبيل في دلالة الآية الكريمة: ﴿ولا يضربن بأرجلهن ليعلم ما يخفين من زينتهن﴾، والمراد من ذلك صوت الخلخال وغيره مما تتحلى به المرأة للرجل. يقول الشيخ ابن عثيمين رحمه الله في هذا: فإذا كانت المرأة منهيّة عن الضرب بالأرجل خوفًا من افتتان الرجل بها، لما يسمع من صوت خلخالها ونحوه.

فكيف بكشف الوجه.. ومعلوم أن الوجه هو مجمع المحاسن. فأيهما أعظم فتنة أن يسمع الرجل خلخالا بقدم امرأة لا يدري ما هى وما جمالها؟ ولا يدرى أشابة هى أم عجوز؟ ولا يدرى أشوهاء هى، أم حسناء؟ أيهما أعظم فتنة هذا، أو أن ينظر إلى وجه سافر جميل، ممتلئ شبابًا ونضارة، وحسنًا وجمالا، وتجميلا بما يجلب الفتنة، ويدعو إلى النظر إليها؟ إن كل إنسان- له إربة في النساء- لَيعلم أيَّ الفتنين أعظم، وأحق بالستر والإخفاء، فإن كان قد اخْتُلِفَ في فهم الزينة الظاهرة، فإن الحجّة في فهم الصحابة ونسائهم، حيث طبقن ذلك عملا بتغطية الوجه والصدر والنحر والشعر، لما ورد عن عائشة رضى الله عنها في حديث الإفك: «وكان يعرفنى قبل نزول الحجاب» وقولها في الإحرام كنّا - بالجمع تعنى نفسها ونساء الرسول ونساء المؤمنين - نكشف وجوهنا فإذا حاذينا الرجال، سدلت إحدانا خمارها على وجهها، فإذا جاوزونا كشفنا..

فهذا العمل حجّة لا يصحّ تأويله، لأنّه تطبيق عملى لمفهوم النصّ الشرعى، في آية الحجاب، خاصة وأن رسول الله ﷺ بين أظهرهم، ولو عملوا شيئًا خطأً لنبههم إليه، كما في صلاة المسيء.

وللحديث بقية إن شاء الله.

الهوامش

(١) هذه الرواية ضعيفة، وتراجع الرواية الصحيحية رواية فاطمة بنت المنذر: البخاري كتاب الحج (ح١٥٤٥).

(٢) في المقال السابق عدد رمضان ١٤٢٣هـ.

وقفات بعد شهر الخير والبركات

بقلم/ صلاح عبد المعبود

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.... وبعد،

فقد مكث فينا رمضان شهرا كاملا ونحن به مسرورون، وسرعان ما ودعنا ومضى ونحن لفراقه محزونون، وفي وداعه لابد لنا من وقفات.

الوقفة الأولى: هل تأثرت قلوبنا في رمضان؟

مضى شهر القرآن والتقوى، والصبر، والجهاد، والرحمة، والمغفرة، والعتق من النار، فما الأثر الذي صار في قلوبنا؟

لقد كان رمضان مدرسة إيمانية ومحطة روحية نتزود منها لبقية العام بل لبقية العمر، فمتى نستفيد ونعتبر؟

إن رمضان مدرسة للتغيير فهل حَسُنَتْ أخلاقنا وانضبط سلوكنا؟ وصلحت أحوالنا؟ هل حققنا تقوى الله عز وجل وجعلنا بيننا وبين النار حجابا؟ وهل تعلمنا الصبر على طاعة الله؟ أسئلة كثيرة وخواطر عديدة تتداعى على قلب المسلم الغيور ويسأل بها نفسه ويجيبها بصدق وصراحة: ماذا فعل رمضان في قلوبنا؟

الوقفة الثانية: «ولا تكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثا».

حذار أن يكون الخارج من رمضان كامرأة غزلت غزلا وصنعت منه قميصا أو ثوبا فلما اكتملت أطرافه وأعجبها، جعلت تقطع الخيوط وتفتلها خيطا خيطا بلا سبب.

فحال من يتبع رمضان بالمعاصي وترك الطاعات كحال تلك المرأة التي نقضت غزلها، فبئس القوم الذين لا يعرفون الله إلا في رمضان، أليس رب رمضان هو رب بقية الشهور؟ ألسنا مأمورين بعبادة الله جل وعلا ما دامت أرواحنا في أجسادنا؟

يا عبد الله! إن كنت حقا ممن استفاد من رمضان بصيامه وقيامه وأداء زكاته، فهل تضيع ما سبق بترك الأعمال الصالحة وترك الطاعات بعد رمضان؟

ومن مظاهر نقض العهد مع الله:

- من يضيع صلاة الجماعة، وقد علم أن النبي ﷺ همَّ أن يحرق البيوت على من تخلفوا عنها وهم يؤدونها في بيوتهم فكيف بمن يتكاسل عن الصلاة أو يضيعها؟

- تبرج النساء الذي ملأ الشوارع والطرقات والأسواق والجامعات رغم قول الله تعالى: ﴿ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى﴾!

- هجر تلاوة القرآن الكريم والإعراض عن تحكيمه في كل شئون الحياة.

- الاستماع إلى الأغاني الرخيصة التي تفسد القلب وتورث الغفلة.

- الجلوس الساعات الطوال أمام التلفاز الذي يفسد النشء والشباب والشابات ويشوه صورة المسلم المتدين بتصويره بأخلاق سيئة وصفات غريبة هو منها برئ.

- الذهاب إلى أماكن الانحلال كالقرى السياحية وشواطئ البحار التي يجتمع روادها على المنكرات.

فهل هكذا تشكر النعم؟ وهل هكذا نودع شهر رمضان؟ وهل هذه علامات قبول الأعمال؟

مرَّ وهيب بن الورد على أقوام يلهون ويلعبون في يوم العيد فقال لهم (عجبا لكم إن كان الله قد تقبل صيامكم فما هذا فعل الشاكرين وإن كان الله لم يتقبله فما هذا فعل الخائفين).

فكيف لو رأى ما يفعله أهل زماننا من اللهو والإعراض بل مبارزة الله بالمعاصي يوم العيد؟!

الوقفة الثالثة: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين».

هكذا يجب أن يكون العبد مستمرا على طاعة الله ثابتا على شرعه، ويعلم أن رب رمضان هو رب بقية الشهور والأيام، فيستقيم على شرع الله حتى يلقى ربه وهو عنه راض.

قال تعالى: ﴿فاستقم كما أمرت ومن تاب معك﴾.

- فلئن انتهى صيام رمضان فهناك صيام النوافل كالست من شوال، والاثنين والخميس، والأيام البيض وعاشوراء وعرفة وغيرها.

- ولئن انتهت صدقة الفطر فهناك أبواب كثيرة للصدقة والتطوع.

- وقراءة القرآن وتدبره ليس خاصًا برمضان بل في كل وقت.

- ولئن كنت حريصا على البعد عن معصية الله في رمضان فلتحرص على الاستقامة والثبات على الدين في كل حين، فلا تدري متى يلقاك الموت، فاحذر أن يأتيك الموت وأنت على معصية.

- وهكذا فالأعمال الصالحة في كل وقت وكل زمان، فاجتهد أخي في الطاعات وإياك والكسل والفتور عن طاعة الله وعبادته.

وختاما

ينبغي أن تحرص على أعمال البر والخير وأن تكون دائما ممن يسارعون إلى الخيرات، ويدعون غيرهم إلى ذلك، فكل مسلم داعية إلى الله بخلقه وسلوكه وعلى قدر علمه.

والله من وراء القصد.

وانطلق الشيطان

بقلم / صلاح عبد الخالق محمد

كان الشيطان محبوسًا في شهر رمضان، والآن إخوتي فك القيد وانطلق في كل مكان، وبعث الجنود والأعوان ليفسدوا على أهل الإيمان، فاحرص على نفسك من الآن، وتسلح بطاعة الرحمن، والبعد عن المعاصي والآثام حتى ينهزم الشيطان.

انطلق الشيطان وبدأت المعركة

بعد رمضان انطلق الشيطان من سجنه، وبدأت الحرب من جديد، حرب شعواء يهجم بكل قوة وبكل سلاح، لا يكل ولا يمل ولا يهدأ ولا ينام.

قال تعالى في سورة الإسراء ﴿وَاسْتَفْزِزْ مَنِ اسْتَطَعْتَ مِنْهُمْ بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكْهُمْ فِي الْأَمْوَالِ وَالْأَوْلَادِ وَعِدْهُمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا﴾ [الإسراء:٤٦].

قوله استفزز: هيج واستخف واستنزل، «بصوتك» صوته كل داع إلى معصية الله تعالى قال الحافظ بن كثير: قوله تعالى ﴿وَأَجْلِبْ عَلَيْهِمْ بِخَيْلِكَ﴾ أحمل عليهم بكل جنودك خيالتهم ورجلتهم ومعناه: تسلط عليهم بكل ما تقدر عليه (٥١/٣).

قال تعالى في سورة الأعراف عن الشيطان: ﴿ثُمَّ لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ وَعَنْ أَيْمَانِهِمْ وَعَنْ شَمَائِلِهِمْ وَلَا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف:١٧].

قال العلامة السعدي: أي من جميع الجهات والجوانب ومن كل طريق يتمكن فيه من إدراك مقصوده فيهم (٤٦٢/١).

في صحيح مسلم عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ: «إن إبليس يضع عرشه على الماء ثم يبعث سراياه فأدناهم منه منزلة أعظمهم فتنة، يجيء أحدهم فيقول: فعلت كذا وكذا، فيقول: ما صنعت شيئًا، قال: ثم يجيء أحدهم، فيقول: ما تركته حتى فرقت بينه وبين امرأته، قال: فيدينه منه، ويقول: نعم أنت - قال الأعمش: أراه قال: فليتزمه».

قال الإمام النووي «شرح صحيح مسلم (١٥٧/١٦): قوله «إن عرش إبليس على الماء» العرش هو سرير الملك ومعناه أن مركزه البحر ومنه يبعث سراياه في نواحي الأرض.

فيمدحه لإعجابه بصنعه وبلوغه الغاية التي أرداها. قوله فيلتزمه «أي يضمه إلي نفسه ويعانقه».

في مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان وصححه الألباني في السلسلة الصحيحة (١٢٨٠) عن أبي موسى الأشعري قال: إذا أصبح إبليس بث جنوده في الأرض فيقول: من أضل مسلما ألبسته التاج، فيقول له القائل: لم أزل بفلان حتى طلق امرأته، قال يوشك أن يتزوج، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى زنى، قال: أنت، ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى شرب الخمر، قال: أنت، قال: ويقول آخر: لم أزل بفلان حتى قتل فيقول: أنت أنت.

نتيجة المعركة الشيطانية

بدأ الشيطان يحقق انتصارات مذهلة، وأصبحنا نشاهد ذلك عيانًا، من هذه الانتصارات:

١ - نسيان ذكر الله:

قال تعالى: ﴿اسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ الشَّيْطَانُ فَأَنْسَاهُمْ ذِكْرَ اللَّهِ أُولَئِكَ حِزْبُ الشَّيْطَانِ أَلَا إِنَّ حِزْبَ الشَّيْطَانِ هُمُ الْخَاسِرُونَ﴾ [المجادلة:١٩].

معنى استحوذ: استولى عليهم وأحاط بهم وغلب على عقولهم وأفكارهم بوسوسته فكانت النتيجة: أنساهم ذكر الله وطاعته وأوامره

وأنساهم البعد عن معاصيه فذكروا الدنيا وأموالها وأولادها ومغانمها.

٢- هجر المساجد والصلاة:

كانت المساجد في رمضان مليئة بالمصلين كأنها جمعة، وذلك في صلاة التراويح التي هي نافلة، وفي كل الفروض، وبعد رمضان هُجرت المساجد، وهُجرت صلاة النافلة وهُجرت صلاة الجماعة و.. و... و.... إنها خطوات الشيطان قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ وَمَن يَتَّبِعْ خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ...﴾ [النور:٢١].

٣- هجر القرآن:

كنا في رمضان نتسابق في الإكثار من قراءة القرآن، وختمه مرات، كان القرآن يُتلى في المساجد والبيوت وغيرها، وبعد ذلك هجرنا قراءة القرآن، ووضعنا المصحف في مكانه الذي كان قبل رمضان، وضع في دائرة الهجر والنسيان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

أهداف الشيطان:

الشيطان صريح ومنظم في وضع الخطط والأهداف التي يبغي تحقيقها ومن هذه الأهداف:

(١) الضلال البعيد:

قال تعالى: ﴿وَيُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلاَلاً بَعِيدًا﴾ [النساء:٦٠]. هدف الشيطان أن يوقعهم في ضلال بعيد عن الحق تماما.

(٢) الحزن للمؤمنين:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة:١٠].

هذا هدف شيطاني خبيث يحرض أتباعه ليفعلوا أشياء تصيب المسلم بالحزن أو الرعب أو الخوف.

(٣) بث العداوة بين الناس:

قال تعالى: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَن يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلاَةِ فَهَلْ أَنتُم مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة:٩١].

وهذه جملة أهداف يسعى إليها الشيطان بكل وسيلة، وعلى رأسها إشعال العداوة بين الناس بالخصومات.

في صحيح مسلم عن جابر قال سمعت النبي ﷺ يقول: «إن الشيطان قد أيس أن يعبده المصلون في جزيرة العرب ولكن في التحريش بينهم» التحريش: هو الإغراء وتغير القلوب والتقاطع، وبقية الأهداف في هذه الآية هي: البعد تماما عن ذكر الله وعن الصلاة.

(٤) الهدف الأكبر عذاب السعير:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر:٦].

في هذه الآية بيان عداوة الشيطان للإنسان من آدم عليه السلام إلى قيام الساعة فانتبهوا يا عباد الله.

قال العلامة السعدي: قوله تعالى: ﴿فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا﴾، أي لتكن منكم عداوته على بال ولا تهملوا محاربته في كل وقت فإنه يراكم وأنتم لا ترونه وهو دائما لكم بالمرصاد (تفسير السعدي) قال العلامة السعدي: «إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير». هذا غايته ومقصوده فمن تبعه استحق أن يُهان غاية الإهانة بالعذاب الشديد. قال تعالى: ﴿وَكَفَى بِجَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء:٥٥].

كيف تنتصر على الشيطان؟

الأهداف الشيطانية واضحة، والخطط معلنة، والتهديد صريح بهذا القسم الشديد «فبعزتك لأغوينهم أجمعين». والجنود يعملون في الخفاء ولا يكلون قال تعالى: ﴿إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ﴾ [الأعراف:٢٧].

ومع ذلك فمقاومته ليست صعبة ولا مستحيلة، ولكن عليك أن تتسلح بهذه الأسلحة والتي منها:

[١] الشيطان كيده ضعيف:

هذا سلاح نفسي هام قال تعالى: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء:٧٦].

قال العلامة السعدي في تفسيره: فالشيطان وإن بلغ مكره مهما بلغ فإنه في غاية الضعف.

قال تعالى: ﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ إِلاَّ مَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ [الحجر:٤٢].

اعلم: أنه ليس للشيطان قوة ولا تسلط ولا قدرة ولا حجة إلا على أتباعه، وقد اعترف الشيطان بضعفه وذلك في خطبته النارية حيث قال كما حكى القرآن: ﴿وَقَالَ الشَّيْطَانُ لَمَّا قُضِيَ الأَمْرُ إِنَّ اللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ الْحَقِّ وَوَعَدْتُكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ وَمَا كَانَ لِيَ عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ إِلاَّ أَنْ دَعَوْتُكُمْ فَاسْتَجَبْتُمْ لِي فَلاَ تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ إِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [إبراهيم:٢٢].

وليس معنى ذلك أن نتراخى عن حربه في كل وقت وحين والحكمة تقول: لو كان عدوك نملة، فلا تنم له.

[٢] الاستعاذة والدعاء:

قال تعالى: ﴿ وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ ﴾ [فصلت:٣٦].

قال تعالى: ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾ [النحل:٩٨].

قال الحافظ ابن كثير: معنى أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، أي أستجير بجناب الله من الشيطان الرجيم أن يضرني في ديني أو دنياي، أو يصدني عن فعل ما أمرت به، أو يحثني على فعل ما نهيت عنه، فإن الشيطان لا يكفه عن الإنسان إلا الله. (تفسير ابن كثير ١٥/١).

النزغ: نزغ الشيطان: إثارة داعية الشر والفساد في غضب أو شهوة حيوانية أو معنوية.

قال تعالى: ﴿ وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ ﴾ [المؤمنون:٩٧-٩٨].

قال العلامة السعدي في تفسيره: هذه استعاذة من مادة الشر كله، ويدخل فيها الاستعاذة من جميع نزغات الشيطان ومن مسه ووسوسته فإن أعاذ الله عبده من هذا الشر وأجاب دعاءه سلم من كل شر ووفق لكل خير.

في سنن أبي داود بسند حسن عن أبي الأزهر الأنماري رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ كان إذا أخذ مضجعه من الليل قال: «بسم الله وضعت جنبي اللهم اغفر لي ذنبي وأخسئ شيطاني....».

وصفوة الكلام: لا تتخلَّ عن سلاح الدعاء والاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند كل طاعة، وعند الهم بمعصية، وعند سماع بعض أصوات الحيوانات مثل نهيق الحمار ونباح الكلب.

[٣] التحصن بكلمة التوحيد:

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: من قال لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير في يومه مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب وكتبت له مائة حسنة ومحيت عنه مائة سيئة وكانت له حرزا من الشيطان حتى يمسي ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه».

[٤] المداومة على ذكر الله:

هذا سلاح من أقوى الأسلحة لتدمير الشيطان، بأن تذكر الله في جميع أحوالك كما علمنا الصادق المصدوق ﷺ.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ﴾ [الزخرف:٣٦].

معنى يعش: أي يتعام ويتغافل ويعرض. (تفسير ابن كثير).

فهو له قرين: أي فهو له ملازم ومصاحب لا ينفك عن الوسوسة له والإغواء.

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَكُنِ الشَّيْطَانُ لَهُ قَرِينًا فَسَاءَ قَرِينًا ﴾ [النساء:٣٨].

والحمد لله رب العالمين.

من صفات أهل العلم في القرآن الكريم

بقلم: فهد بن عبد الرحمن اليحيى

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله... وبعد:

فالحديث عن طلب العلم واسع، وجوانبه الجديرة بالتناول كثيرة، ولكني رغبت الوقوف مع صفات أهل العلم في القرآن الكريم لعل من كان على هذا الطريق يستنير بها. فمن تلك الصفات:

١- أنهم أهل رسوخ وليسوا أهل شك وتردد وتوهمات وظنون. قال الله سبحانه وتعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾ [آل عمران: ٧]، وقال سبحانه: ﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلاَ تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾ [الأنعام: ١١٤].

٢- من صفاتهم أنهم أهل حق واتباع وثبوت على المحكم وليسوا أهل شبه وتتبع للمشتبه، والبدع والمحدثات، كما في الآية السابقة: ﴿وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُ إِلاَّ اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلاَّ أُولُو الأَلْبَابِ﴾.

وفي الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: تلا رسول الله ﷺ هذه الآية قالت: قال رسول الله ﷺ : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذروهم.

وفي رواية الإمام أحمد والترمذي: «فإذا رأيتم الذين يجادلون فيه فهم الذين عنى الله عز وجل فاحذروهم».

والشبه أضرب وصور ومن أعظمها الشبه في المعتقد والشبه في الحلال والحرام، فهم يتبعون المحكم من آيات المعتقد والمحكم من أدلة الأحكام، فإنك تجد الأدلة المتكاثرة على حكم ثم تجد دليلاً محتملاً لحكم يخالف ذلك الحكم، فالراسخ في العلم لا يدع المحكمات لأدلة محتملات.

٣- هم أهل العقل حقًا، قال سبحانه: ﴿وَمَا يَعْقِلُهَا إِلاَّ الْعَالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٣].

قال ابن كثير رحمه الله: أي وما يفهمها ويتدبرها إلا الراسخون في العلم المتضلعون منه. اهـ.

إن كمال العقل وغايته أن يكون العبد عارفًا بالله تعالى عالمًا بما يجب عليه له يسير إلى الله على علم وبصيرة ويدعو إلى الله على علم وبصيرة.

وهؤلاء هم أهل العلم، وهم على الضد ممن يرد النصوص بمجرد عقله أو يقصر دلالتها قصرًا لتدل على فهمه وإن خالف ظاهرها بل وظواهر النصوص غيرها أو قواعد الشريعة، فهؤلاء وإن تذرعوا بالعقل فهم أبعد في الأخذ به والوقوف على ما يقتضيه؛ إذ مقتضى العقل أن يدرك الناظر أنه لا يمكن أن يستقلّ عن الوحي أو يستقلّ بفهم الوحي، حيث العقول مختلفة متفاوتة، وقد نفى الله عن الكافرين وعن كل معرض عن الله وعن وحيه، نفى عنهم العقل في آيات كثيرة كقوله سبحانه: ﴿إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لاَ يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]. وقال سبحانه حاكيًا عما يقوله الكفار يوم القيامة: ﴿وَقَالُوا لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِي أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠]، ولذا فلا بد مع الفهم الناشئ عن العقل من روح التسليم للوحي قبل ذلك.

قال تعالى: ﴿بَلَى مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً وَلاَ تَتَّبِعُوا خُطُوَاتِ الشَّيْطَانِ إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ﴾ [البقرة: ٢٠٨].

وقال تعالى: ﴿أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ﴾ [آل عمران: ٨٣].

وقال تعالى: ﴿فَلاَ وَرَبِّكَ لاَ يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لاَ يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ

حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [النساء: ٦٥].

وإنه لحقيق بمن تشرب روح التسليم أن يُهدي لفهم ما جاء عن الله وعن رسوله ﷺ.

٤- من صفاتهم أنهم أهل الخشية كما قال سبحانه: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ [فاطر: ٢٨]، فمن كان بالله أعرف، كان منه أخوف.

قال الجصاص: قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ فيه الإبانة عن فضيلة العلم وأن به يتوصل إلى خشية الله وتقواه؛ لأن من عرف توحيد الله وعدله بدلائله أوصله ذلك إلى خشية الله وتقواه؛ إذ كان من لا يعرف الله ولا يعرف عدله وما قصد له بخلقه لا يخشى عقابه ولا يتقيه. اهـ.

٥- من صفاتهم أنهم أهل للعصمة من الفتنة وإنما يكون العالم كذلك حين يعمل بعلمه وإلا فمجرد العلم النظري لا يكفي، قال سبحانه في قصة قارون: ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ. وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيْلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلاَ يُلَقَّاهَا إِلاَّ الصَّابِرُونَ ﴾ [القصص: ٧٩، ٨٠].

٦- من صفاتهم أنهم أهل الحجة على الكفار في الدنيا والآخرة فهم الحاملون لهذا الدين يقيمون الحجة فيه على من أنكره أو جادل فيه أو غشيته الريب والشبهات.

قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ الْمُجْرِمُونَ مَا لَبِثُوا غَيْرَ سَاعَةٍ كَذَلِكَ كَانُوا يُؤْفَكُونَ (٥٥) وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالإِيمَانَ لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ وَلَكِنَّكُمْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ ﴾ [الروم: ٥٥، ٥٦].

قال ابن كثير رحمه الله: أي فيرد عليهم المؤمنون العلماء في الآخرة كما أقاموا عليهم حجة الله في الدنيا فيقولون لهم حين يحلفون ما لبثوا غير ساعة: ﴿لَقَدْ لَبِثْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ أي: في كتاب الأعمال إلى يوم البعث، أي من يوم خلقتم إلى أن بعثتم ولكنكم كنتم لا تعلمون. اهـ.

وهذا كقوله تعالى: ﴿وَيَرَى الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ هُوَ الْحَقَّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ﴾ [سبأ: ٦].

وقوله سبحانه: ﴿لَكِنِ الرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ مِنْهُمْ وَالْمُؤْمِنُونَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلاَةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالْمُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ أُولَئِكَ سَنُؤْتِيهِمْ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ وهكذا المسلم بالعلم الراسخ يتحدى المخالفين، وذلك حين يقوم بقلبه من اليقين بما لديه ما يمنحه القوة عند المحاجة والمخاصمة، فلا يثبت عند إيراد الشبهات إلا من كان لديه إيمان وعلم راسخ، أما إذا ضعف أحدهما أو كلاهما فقد تؤثر فيه الشبهات، وحتى لو لم تؤثر فيه الشبهات فإنه لن يقوى على ردها.

٧- ومن صفات أهل العلم أنهم يخشعون لتلاوة كتاب الله ويبكون لله رغبة ورهبة، وهم أهل السجود لذي الملكوت والكبرياء وأهل الذل له والمسكنة.

قال سبحانه: ﴿وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مُكْثٍ وَنَزَّلْنَاهُ تَنْزِيلاً (١٠٦) قُلْ آمِنُوا بِهِ أَوْ لاَ تُؤْمِنُوا إِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلِهِ إِذَا يُتْلَى عَلَيْهِمْ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا (١٠٧) وَيَقُولُونَ سُبْحَانَ رَبِّنَا إِنْ كَانَ وَعْدُ رَبِّنَا لَمَفْعُولاً (١٠٨) وَيَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا ﴾ [الإسراء: ١٠٦- ١٠٩].

قال القرطبي رحمه الله: قوله تعالى: ﴿ يَخِرُّونَ لِلأَذْقَانِ سُجَّدًا ﴾، هذه مبالغة في صفتهم، ومدح لهم، وحق لكل من توسم بالعلم وحصل منه شيئًا أن يجري إلى هذه الرتبة فيخشع عند استماع القرآن ويتواضع ويذل، وفي مسند الدارمي عن التيمي قال: من أوتي من العلم ما لم يبكه لخليق ألا يكون أوتي علمًا لأن الله نعت العلماء ثم تلا هذه الآية. انتهى.

وقال جل وعلا: ﴿وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَهَادِ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الحج: ٥٤].

فهم أعزة بالله أذلة له جلا وعلاً، وهكذا من كان أعظم ذلاً لله كان هو الأعز بين الناس، ومن استنكف عن الذلة لله عاقبه الله بأن يكون ذليلاً لأخس الخلق وأرذل الناس. قال سبحانه: ﴿ مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا ﴾ [فاطر: ١٠].

وقال: ﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لاَ يَعْلَمُونَ ﴾ [المنافقون: ٨].

٨- ومن صفاتهم أنهم يحملون كتاب الله تعالى في صدورهم: ﴿بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلاَّ الظَّالِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٩].

قال ابن القيم رحمه الله: مدح سبحانه أهل العلم وأثنى عليهم وشرفهم بأن جعل كتابه آيات بينات في صدورهم، وهذه خاصية ومنقبة لهم دون غيرهم. اهـ.

وجاء وصفهم في الكتب المتقدمة أن أناجيلهم في [النساء: ١٦٢].

صدورهم، وفي الحديث القدسي: «وأنزلت عليك كتابًا لا يغسله الماء تقرأه نائمًا ويقظان». أخرجه مسلم.

وهذه إشارة إلى حفظ القرآن في الصدور.

وعلى هذا فينبغي لطالب العلم الجادّ في الطلب المبتغي دخول المنازل من أبوابها أن يبدأ بحفظ كتاب الله عن ظهر قلب، لا سيما من هُدي إلى طلب العلم في مقتبل العمر، فهذا لا يوجه أبدًا لشيء قبل كتاب الله، كما كان سلف الأمة وأئمتها، ثم بعد كتاب الله عليك يا طالب العلم بحفظ شيء من سنة المصطفى ﷺ.

وقد سُئل شيخ الإسلام- كما في الفتاوى الكبرى (٢/٢٣٥)-: أيما طلب القرآن أو العلم أفضل؟

فقال: أما العلم الذي يجب على الإنسان عينًا كعلم ما أمر الله به، وما نهى الله عنه، فهو مقدم على حفظ ما لا يجب من القرآن، فإن طلب العلم الأول واجب، وطلب الثاني مستحب، والواجب مقدم على المستحب، وأما طلب حفظ القرآن: فهو مقدم على كثير مما تسميه الناس علمًا: وهو إما باطل، أو قليل النفع، وهو أيضًا مقدم في التعلم في حق من يريد أن يتعلم علم الدين من الأصول والفروع، فإن المشروع في حق مثل هذا في هذه الأوقات أن يبدأ بحفظ القرآن، فإنه أصل علوم الدين. اهـ.

وقد استعرضت بعض التراجم للعلماء على وجه السرعة فوجدت عبارات: حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين، ثماني سنين، قبل العاشرة، وأما قبل البلوغ فكثير جدًا.

مثلاً الشافعي رحمه الله حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين.

وفي طبقات الشافعية أن سراج الدين البلقيني حفظ القرآن وهو ابن سبع سنين.

وفي سير أعلام النبلاء: أبو معمر المفضل بن إسماعيل الجرجاني حفظ القرآن وجملة من الفقه وهو ابن سبعة أعوام.

وفيه أيضًا: تاج الدين أبو اليمن زيد بن الحسن الكندي البغدادي الحنفي حفظ القرآن وهو صغير مميز وقرأه بالروايات العشر وله عشرة أعوام.

وفي الديباج المذهب: العباس بن عيسى أبو الفضل كان فقيهًا فاضلاً عابدًا، وحفظ القرآن وهو ابن ثماني سنين، والموطأ وهو ابن خمسة عشر.

والأمثلة كثيرة جدًا، وفي العصر الحاضر نماذج أيضًا، ولله الحمد، فثم من حفظ دون البلوغ، بل ودون العاشرة، وقد قرأ عليّ طفل في التاسعة من عمره يحفظ القرآن كاملاً والصحيحين بإتقان.

وقد شاهدنا دورات لحفظ القرآن في مدة وجيزة وفي حفظ السنة كذلك، فالحمد لله أن جعل هذه الأمة معطاءة ولودًا، وهي أمة الحفظ، والحفظ أصل العلم، وهو أساس للفهم لا مناقضًا له، كما يدعي أصحاب النظريات المستوردة، بل الحفظ والفهم قرينان، ولا بد منهما للعملية التعليمية الناجحة، ولا سيما لمن ابتغى الغاية ورام القمة.

٩- من صفاتهم شهادتهم بالتوحيد، قال سبحانه وتعالى: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلاَئِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

وهكذا العلماء إنما تكون عنايتهم بتوحيد الله تعالى بمعناه الشامل؛ توحيده في ربوبيته، وتوحيده في إلهيته، وتوحيده في أسمائه وصفاته، وتوحيده بأنه لا شريك له في حكمه، وتوحيده بجميع أنواع العبادات الظاهرة والباطنة والبدنية والقلبية.

١٠- ومن صفاتهم أنهم أهل الاستنباط والفهم وإليهم ترد الأمور.

قال سبحانه: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِنَ الأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ وَلَوْلاَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ لاَتَّبَعْتُمُ الشَّيْطَانَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ٨٣].

جاء في تفسيرها أنهم أهل العلم والاستنباط والخبرة في الأمر المقصود.

وقال جل ذكره: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلاً﴾ [النساء: ٥٩].

قال المفسرون: هم العلماء والأمراء.

ولذا جعل الله عز وجل من الأسباب التي نال بها طالوت الملك أنه كان ذا علم، قال سبحانه: ﴿وَقَالَ لَهُمْ نَبِيُّهُمْ إِنَّ اللَّهَ قَدْ بَعَثَ لَكُمْ طَالُوتَ مَلِكًا قَالُوا أَنَّى يَكُونُ لَهُ الْمُلْكُ عَلَيْنَا وَنَحْنُ أَحَقُّ بِالْمُلْكِ مِنْهُ وَلَمْ يُؤْتَ سَعَةً مِنَ الْمَالِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ وَاللَّهُ يُؤْتِي مُلْكَهُ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

هذه بعض الصفات الواردة في القرآن لأهل العلم جعلنا الله منهم، وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

سعة رحمة الله

حقيقةٌ في حياة الإنسان لا تقبلُ الشك ولا تحتاج إلى دليل، هذه الحقيقة هي أنَّ كل لحظة تمرُّ بالإنسان في حياته إنما تُعجِّلُ من ساعة رحيله، وتُقربهُ من آخرته التي لا محيد عنها، ويخشى الإنسان هذه الحقيقة ويهربُ مِنْ سبب يدفعه إلى الخوف والخشية، ولعل أقواها هو شعورُه بأنه أخطأ في هذه الحياة لكثرة ذُنُوبه.

فهل ييأس الإنسان أو يقنط العبد؟ أم ترى أن رحمة الله الواسعة تشمل العباد في الدنيا بالرغم من خطاياهم،.... لهم في الآخرة وهم وقوفٌ بين يديه عز وجل مستغفرين نادمين، إن الله قد فتح بابَ رحمته وتوبته لعباده: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لاَ تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴾ [الزمر: ٥٣]، ونجدُ في سورة الفاتحة التي يفتتح بها القرآن العظيم، والتي يُردِّدُها المسلمون في كل يوم كثيرًا في صلاتهم، ويتكرّر فيها صفتان عظيمتان من صفات ربنا الرحمن الرحيم، في آيتين من آياتها السبع، في الآية الأُولى: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، الآية الثالثة: ﴿ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾، لذلك يجبُ على كل مسلمٍ أنْ يتدبَّر ويتأمل لعلّه يهتدي إلى ما تشيرُ إليه هذه الصفات العظيمة التي اهتم بها القرآن الكريم هذا الاهتمام، لقد تكرّر لفظ الرحمن (٧٥) مرة، ولفظ الرحيم (١١٤) مرة.

وفي الحديث المتفق عليه قوله ﷺ: «إن لله عز وجل مائة رحمة، أنزل منها في الأرض جُزْءًا واحدًا يتراحم به الخلق جميعًا بينهم

إعداد / أحمد طه نصر

حتى ترفع الدابة حافرها عن وليدها خشية أن تُصيبه، وأَمْسَكَ عنده تسعة وتسعين رحمة يرحمُ بها المؤمنين يوم القيامة».

يقول ﷺ: «لما خلق اللهُ الخلق كتبَ في كتابٍ عنده فوق العرش: أن رحمتي تسبقُ غضَبي»، وقد حاول المفسرون توضيح لفظ الرحمن. ولفظ الرحيم، فكان مما تردّد أن الرحمن هو الذي تتصفُ ذاته بالرحمة، فهو الخالق الرازق المنعم ويتعهد العباد من المهد إلى اللحد، والرحيم لأنه عز وجل أمدّهم بما يحفظ حياتهم وبالرسالات لهدايتهم، ويفعل بهم رحمة يعفُو بها عن خطاياهم ويغفرها لهم فضلاً منه عز وجل، فهو رحمنٌ بذاته، رحيمٌ بعباده، فمن لهذه الذنوب التي لا تنتهي في الدنيا غير رحمته التي وَسِعَتْ كل شيء، واستمرار الرحمة أمرٌ يشمل الحياتين الدنيا والآخرة، فهو سبحانه رَحْمنُ الدنيا والآخرة ورحيمهُما، ولذلك أمرنا أن ندعوه بلفظ الجلالة أو الرحمن. ﴿ أَيًا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الحُسْنَى ﴾ [الإسراء: ١١٠]، وليتَ الإنسان يتدبر شأنه مع رحمة الله عز وجل، يقول سبحانه: ﴿ قُلْ مَنْ يَكْلَؤُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ مُعْرِضُونَ ﴾، والآية تشير إلى حِفْظ الرحمن للخلائق ليلاً: ينام العبدُ ويُسْلِم نفسه للحفيظ العظيم والحكيم العليم فيحفظ له حياته، نَفَسَهُ ونبضات قلبه، وتجدّد خلاياه، ودَوْرة دَمِه، والليل سَكَنٌ وراحة له، وجعل له النهار معاشًا ويَسَّرَ له رِزْقه وما هو أعزُّ من ذلك كله؛ هدايته

تبارك وتعالى ونعمته بإنزال الكتب وإرسال الرسل عليهم السلام، وخصنا بإمامهم محمد ﷺ وبارك عليه وعلى آله أجمعين، فهل الإنسان عاقل عندما تغمرهُ نِعمُ الله وفضله؟ فبدلاً من أن يُخلصَ دينه وشُكره وطاعته لربه الرحمن الرحيم، تراه يتجه إلى الموتى ومَنْ يسمونهم بالأولياء يدعونهم منْ دُون الله، وهم عبادٌ لا يملكون ولا يجيبون: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾،﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ. أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ. إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَاحِدٌ﴾ [النحل: ٢٠- ٢٢].

وتجدُ أن مُعْظم الآيات التي وردَ فيها لفظ الرحيم تشير إلى الآخرة. والمغفرة إنما تتجلى عند الحساب في يوم الدين، كقوله: ﴿وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ﴿أُولَٰئِكَ يَرْجُونَ رَحْمَتَ اللَّهِ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾، ووردَ لفظ الرحيم بعد التوبة: ﴿إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا وَأَصْلَحُوا...﴾ ﴿فَأُولَٰئِكَ أَتُوبُ عَلَيْهِمْ وَأَنَا التَّوَّابُ الرَّحِيمُ﴾، ومع لفظ العزة عِزّة الله العظيم: ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾، واجتمع مع لفظ الرحمن في آياتٍ منها: ﴿تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ﴾، فهل آن للعباد أنْ يشهدُوا أن لا إله إلا الله، وألاّ يعبدُوا إلاّ إيّاه مخلصين له الدين، له النعمة وله الفضل، وله الثناءُ الحسن، لا نحصي ثناءً على الله، هو كما أثنى على نفسه: ﴿مَا يَفْتَحِ اللَّهُ لِلنَّاسِ مِنْ رَحْمَةٍ فَلَا مُمْسِكَ لَهَا وَمَا يُمْسِكْ فَلَا مُرْسِلَ لَهُ مِنْ بَعْدِهِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾. على أنّ المرادَ لمن يقرأ القرآن الكريم أن يبدأ بـ «بسم الله الرحمن الرحيم»: عونًا وبركةً واستفتاحًا بالذي هو خَيْر، وثَمَّ شيءٌ آخر هو أن الله عز وجل أنزل القرآن الكريم هداية إلى ابتغاء هذه الرحمة في الحياة بالاستجابة والعمل ووُصُولاً إليها في الآخرة، ولأنه تعالى أخبرنا أن رحمته تسْبقُ غضبَه حتى لا ييأس مخلوقٌ فضلاً عن مُؤمنٍ من رحمته عزّ وجل ﴿قَالَ وَمَنْ يَقْنَطُ مِنْ رَحْمَةِ رَبِّهِ إِلَّا الضَّالُّونَ﴾، ﴿إِنَّهُ لَا يَيْأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧].

إن «بسم الله الرحمن الرحيم»: بُشْرَى أرادها الله للمؤمنين، وأمرنا بتلاوتها قبل كل تلاوة، إن «بسم الله» في كل الشئون بُشْرَى تتأكد في نفس المؤمن ويكونُ من ضِمْن معانيها ما تشيرُ إليه آية الرجاء ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَىٰ أَنْفُسِهِمْ﴾، وليسَ أسعد للنفس من أن تدعُو دائمًا بالرحمة في كل عمل وكل حين؛ ﴿فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ﴾، وهكذا ما تدبر المؤمن شيئًا إلا ورأى آثار رحمة الله عز وجل، ولا يمكن أن ينتهي الحديث عن رحمة الله جل شأنه بالإنسان وخاصة المؤمنين، وقد قررت الملائكة من حملة العرش ومَنْ حوله الحقيقة الثابتة: ﴿رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا﴾، ولحكمته عز وجل أنه لا يقوم أيّ شيء في الوجود إلا برحمته ﴿الرَّحْمَٰنُ. عَلَّمَ الْقُرْآنَ. خَلَقَ الْإِنْسَانَ. عَلَّمَهُ الْبَيَانَ. الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ. وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ﴾ [الرحمن: ١- ٦].

وخصّ اللّهُ المؤمنين بقوله: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ﴾ ﷺ، والمؤمن في هذه الحياة لا يعيشُ وحيدًا، بل إنّ معه مجتمعه وأهله والأحياء من حوله، وأنّ ما يجب أن تكون عليه حياته هو معاملة الناس والمؤمنين بالتعاون وتبادل المنافع، وفي الحديث الصحيح الذي رواه البخاري ومسلم من حديث النعمان بن بشير: «مثل المؤمنين في

توادهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعت له سائر الأعضاء بالحمى والسهر»، فإن خير ما يحرص عليه المؤمن في حياته هو اليقين والإيمان برحمة الله ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨]، ومن حديث الشيخين يقول ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم»، ولما كانت رحمة ربنا عز وجل مترتبة على أن يرحم بعضنا بعضًا، إذن وَجَبَ علينا أن نتخلّق بها ونعرفَ بمن تكون، الرحمة ضِدُّ الغِلْظة، وقد أثنى الله على النبي ﷺ مُبينًا صفته ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ﴾. الرحمة رأفة ولينُ جانب وخفض جناح وعطف بإخوانك المؤمنين، وشدّة وغلظة على أعدائك وأعداءِ دينك حفاظًا على عِزّة الإيمان: ﴿أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ﴾، الرحمة تقتضي مُعاملة الناس بالحسنى، وهي خُلُقٌ فاضل. وحُكْمٌ عادل. وعاطفة محمودة مَنْ اتّصَفَ بها كانَ محبوبًا من الله، ورَحِمهُ الناسُ كما يرحمهمُ، ومَنْ قَسَا على الناس قَسَوا عليه وكان شقيًا مُبعدًا من رحمة الله، فإن ألمّ به أمرٌ فرَّ الناسُ منه فيتذوق وحده ألَمَها، وجاء الحديث: «لا تُنْزَعُ الرحمة إلا من شقي». حديث حسن رواه أحمد وأبو داود وعنه ﷺ: «إنها رحمة يضعها الله في قلوب عباده، ومَنْ لا يَرْحَم لا يُرْحَم»، متفق عليه. «والراحمون يرحمهم الرحمن»، صحيح رواه أحمد وأبو داود والترمذي. الرحمة تحملك على مَدِّ يد المعونة وإغاثة الملهوفين ومساعدة المنكوبين مُحققًا هدي النبي ﷺ: «مَنْ نَفّسَ على مُسْلِم كُربة منْ كُرب الدنيا نَفّسَ اللهُ عنه كربة من كرب يوم القيامة، واللهُ في عَوْن العبد ما كانَ العبدُ في عَوْن أخيه». متفق عليه.

الرحمة تدعو إلى مساعدة الأرامل وكفالة اليتيم، وكما تَحْسُنُ الرحمة بعامة الناس، فهي بالوالدين والأقارب والزوجات والأبناء، والجيران والعمال والحيوان: أحق وأوْلى، ولا شيء يعدِل أو يسْبقُ برَّ الوالدين إلا عبادة الله عز وجل، وعُقُوقهما من الكبائر، وصلة الأرحام عمل يحبّه الله والصدقة عليهم بأجرين، وقد استجارت الرحم بالرحمن، فقال لها: «ألا ترضين أن أصِل مَنْ وَصَلَكِ وأقطعَ منْ قطعك» متفق عليه. والزوجةُ الصالحة أُخْتُ الرجل تقتضي العشرة بالمعروف ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ﴾، ﴿وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً﴾، أما الأبناء فلذاتُ الأكباد، وحبّاتُ القلوب فالرحمة بهم تربية دينية وتأديبٌ وعلم وعدْل بينهم بالحبّ والقدوة الصالحة ورُوحُ الدين والصلاة ومؤاخاتهم وتقريبهم، وأوصى القرآن بالجيران، وما أجمل هدي النبي ﷺ: «ما زال جبريل عليه السلام يُوصيني بالجار حتى ظننتُ أنه سيورثه» متفق عليه.

وعن العمال - وهم إخواننا - وأمثالهم لهم حقَ الوفاء وحفظ الحقوق، أما الحيوان فكلنا يعرف أن امرأة دخلت النار في هِرّة حبستها حتى ماتت، وغفرَ اللهُ لرجُلٍ سَقَى كلبًا اشتدَّ عليه العطش، ويجبُ أن لا تكون الرحمة سببًا في تعطيل حدود الله عز وجل وضياع حقوق عباده، ولا كتمان الشهادة بالحق: ﴿وَمَنْ يَكْتُمْهَا فَإِنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ﴾، وما توفيقنا إلا بالله. فاللهم آتنا من لدُنك رحمة وهيء لنا من أمرنا رشدًا. اللهم رحمتك نرجو، فلا تكلنا إلى أنفسنا يا أرحمَ الراحمين، وصلى الله وسلم على نبينا محمدٍ وآله أجمعين.

من دلائل النبوة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد..

ذكرنا في المقالة السابقة من دلائل النبوة في الأناجيل مثل البيت المؤسس على الصخر، وفضل من عاد مريضا أو أطعم مسكينا، ورأينا آثار الوحي في الأناجيل تشهد بصدق ما جاء في التنزيل على نبينا محمد ﷺ، وفي هذه المقالة نضرب عددا آخر من الأمثلة:

النص الثالث: لا يمكن لأحد أن يكون عبدا لسيدين:

ضرب الله مثلا لعبد يمتلكه شركاء مختلفون وآخر يمتلكه سيد واحد، الشركاء يتجاذبونه ويكلفونه ويطالبونه بأشياء متعددة في آن واحد، وهو في حيرة من أمره وقلبه في شتات، هل يستوي مع من كان خالصا لسيد واحد ليس لغيره عليه سبيل؟ فهذا مثل من أشرك بالله فعبد الهوى والدرهم والدينار وسائر طواغيت الشيطان ومن أفرد الله بالعبادة والمحبة في الراحة والاطمئنان، قال تعالى: ﴿أَفَمَنْ يَتَّقِي بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ [الزمر:٢٩].

وهذا المثل بذاته ورد في الإنجيل كدليل من دلائل النبوة وصدق ما جاء في التنزيل، ففي إنجيل متى: (لا يُمْكِنُ لأَحَدٍ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لسَيِّدَيْنِ، لأَنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا فَيُحِبَّ الآخَرَ، وَإِمَّا أَنْ يَلْزَمَ أَحَدَهُمَا فَيَهْجُرَ الآخَرَ، لا يُمْكِنُكُمْ أَنْ تَكُونُوا عَبِيدًا لله وَالمَال مَعا) (١٣/ ٦)، وفي إنجيل لوقا: (مَا مِنْ خَادِمٍ يَقْدِرُ أَنْ يَكُونَ عَبْدًا لسَيِّدَيْنِ، فَإِنَّهُ إِمَّا أَنْ يُبْغِضَ أَحَدَهُمَا فَيُحِبَّ الآخَر، وَإِمَّا أَنْ يَلْتَحِقَ بِأَحَدِهِمَا فَيَهْجُرَ الآخَرَ، لا تَسْتَطِيعُونَ أَنْ تَكُونُوا عَبِيدًا للهِ وَالمَال مَعًا) (١٦/ ١٣).

فلينظر من له عينان المثلان متطابقان، ولا فرق بينهما إلا من حيث بلاغة الصياغة في القرآن ودقة الألفاظ وحسن البيان.

النص الرابع: الكلمة الطيبة والشجرة الطيبة:

ضرب الله في القرآن مثلا للكلمة الطيبة بالشجرة الطيبة، أصلها ثابت في الأرض وفرعها ضارب في السماء، تؤتي أكلها وتعطي ثمرها بإرادة خالقها كل حين، فمثل هذه الشجرة مثل المؤمن الذي نطق بالحق ودعا إلى الصدق وعمل عملا صالحا، فإنه يثمر كل حين خيرًا لنفسه ولغيره.

ومثل الكلمة الخبيثة كالشجرة الخبيثة، عروقها قريبة فوق الأرض ما لها من قرار فهي سريعة الاستئصال، ثمرها ردئ وطعمها مر، فمثل هذه الشجرة مثل الكافر الذي يشرك بالله ويعبد هواه، فهو يثمر في كل حين شرا لنفسه ولغيره، هذا المثل ورد في القرآن بأدق الكلمات وأبلغ العبارات فقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ * تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ * وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ﴾ [إبراهيم: ٢٤-٢٦].

وقد ورد المثل أيضا في الإنجيل كدليل على نبوة محمد ﷺ وشاهد لصدق ما ورد في التنزيل، ففي إنجيل متى ورد هذا النص: (هَكَذَا كُلُّ شَجَرَةٍ جَيِّدَةٍ تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا، أَمَّا الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ فَإِنَّهَا تُثْمِرُ ثَمَرًا رَدِيئًا لا يُمْكِنُ أَنْ تُثْمِرَ الشَّجَرَةُ الجَيِّدَةُ ثَمَرًا رَدِيئًا وَلا الشَّجَرَةُ الرَّدِيئَةُ ثَمَرًا جَيِّدًا، وَكُلُّ شَجَرَةٍ لا تُثْمِرُ ثَمَرًا جَيِّدًا، تُقْطَعُ وَتُطْرَحُ فِي النَّارِ، إِذَنْ مِنْ ثِمَارِهِمْ تَعْرِفُونَهُمْ) (الإصحاح السابع ١٧: ٢٠).

النص الخامس: لماذا تضرب الأمثال؟

يضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتفكرون،

في الأناجيل

الحلقة الثانية

بقلم / محمود عبد الرازق

وما نطق به النبي الأمي دون أن يسمع أو يرى الإنجيل، فقال تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ لاَ يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً مَا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلاً يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلاَّ الْفَاسِقِينَ ﴾ [البقرة:٢٦]، وقوله: ﴿ وَمَثَلُ كَلِمَةٍ خَبِيثَةٍ كَشَجَرَةٍ خَبِيثَةٍ اجْتُثَّتْ مِنْ فَوْقِ الأَرْضِ مَا لَهَا مِنْ قَرَارٍ ﴾ [إبراهيم:٢٦]، وقوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنِّ وَالإِنْسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَ يَسْمَعُونَ بِهَا أُولَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ ﴾ [الأعراف:١٧٩].

وقوله سبحانه: ﴿ وَإِنْ تَدْعُوهُمْ إِلَى الْهُدَى لاَ يَسْمَعُوا وَتَرَاهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ وَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ ﴾ [الأعراف:١٩٨]، وقوله عز وجل: ﴿ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لاَ تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ [الحج:٤٦].

النص السادس: هل يمر الجمل من ثقب إبرة؟

إن لم يتصف الغني بالتواضع فإن جبال الكبر تنمو في قلبه وتتكاثر حتى يعرض عن الحق ويكذبه، وهذه غالبا صفة المكذبين من علية القوم وسادة الملأ، وقد علق الله عز وجل دخول هؤلاء الجنة على مستحيل، ومعلوم أن تعليق أمر على مستحيل إشارة إلى استحالة وقوعه فقال تعالى: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا وَاسْتَكْبَرُوا عَنْهَا لاَ تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَابُ السَّمَاءِ وَلاَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ حَتَّى يَلِجَ الْجَمَلُ فِي سَمِّ الْخِيَاطِ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُجْرِمِينَ ﴾ [الأعراف:٤٠].

يقول ابن جرير في تفسير الآية: (ولا يدخل

ولا يستحيي أن يضرب مثلا ما حتى لو كان لبعوضة أو أقل منها، فالتمثيل إنما يصار إليه لكشف المعنى الممثل له، ورفع الحجاب عنه وإبرازه للذهن في صورة محسوسة، ليساعد العقل على الفهم ويزيل عن الإدراك الوهم، وقد ورد في الأناجيل أن تلاميذ عيسى عليه السلام سألوه: لماذا تكثر من ضرب الأمثال؟

فبين لهم أن علم الله واسع يفيض بما يبين لهم حقيقة الغيبيات وأسرار ملكوت السماوات، والناس ليسوا سواءً في الإدراك، فهناك من ينظر ولا يبصر ويسمع ولا يفهم، وهناك من قلبه مغلق مختوم عليه يفتقر إلى قيام الحجة ودلالة اللزوم.

ففي إنجيل متى يقول الكاتب: (فَتَقَدَّمَ إِلَيْهِ التَّلاَمِيذُ وَسَأَلُوهُ: لِمَاذَا تُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال؟ فَأَجَابَ: لأَنَّهُ قَدْ أُعْطِيَ لَكُمْ أَنْ تَعْرِفُوا أَسْرَارَ مَلَكُوتِ السَّمَاوَاتِ أَمَّا أُولئِكَ فَلَمْ يُعْطَ لَهُمْ ذَلِكَ، فَإِنَّ مَنْ عِنْدَهُ يُعْطَى الْمَزِيدَ فَيَفِيضُ، وَأَمَّا مَنْ لَيْسَ عِنْدَهُ فَحَتَّى الذِي عِنْدَهُ يُنْتَزَعُ مِنْهُ، لِهذَا السَّبَبِ أُكَلِّمُهُمْ بِأَمْثَال، فَهُمْ يَنْظُرُونَ دُونَ أَنْ يُبْصِرُوا وَيَسْمَعُونَ دُونَ أَنْ يَسْمَعُوا أَوْ يَفْهَمُوا، فَفِيهِمْ قَدْ تَمَّتْ نُبُوءَةُ إِشَعْيَاءَ حَيْثُ يَقُولُ:

سَمْعًا تَسْمَعُونَ وَلا تَفْهَمُونَ، وَنَظَرًا تَنْظُرُونَ وَلا تُبْصِرُونَ، لأَنَّ قَلْبَ هَذَا الشَّعْبِ قَدْ صَارَ غَلِيظًا، وَصَارَتْ آذَانُهُمْ ثَقِيلَةَ السَّمْعِ وَأَغْمَضُوا عُيُونَهُمْ لِئَلا يُبْصِرُوا بِعُيُونِهِمْ وَيَسْمَعُوا بِآذَانِهِمْ وَيَفْهَمُوا بِقُلُوبِهِمْ وَيَرْجِعُوا إِلَيَّ، فَأَشْفِيَهُمْ!

وَأَمَّا أَنْتُمْ فَطُوبَى لِعُيُونِكُمْ لأَنَّهَا تُبْصِرُ وَلآذَانِكُمْ لأَنَّهَا تَسْمَعُ، فَالحَقَّ أَقُولُ لَكُمْ: كَمْ تَمَنَّى أَنْبِيَاءُ وَأَبْرَارٌ كَثِيرُونَ أَنْ يَرَوْا مَا تُبْصِرُونَ وَلَمْ يَرَوْا وَأَنْ يَسْمَعُوا مَا تَسْمَعُونَ وَلَمْ يَسْمَعُوا!) ١٣/١٠: ١٧.

أليس هذا هو نفسه ما جاء في التنزيل

هؤلاء الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها الجنة التي أعدها الله لأوليائه المؤمنين أبدا كما لا يلج الجمل في سم الخياط أبدا، وذلك ثقب الإبرة، وكل ثقب في عين أو أنف أو غير ذلك، فإن العرب تسميه سما وتجمعه سموما وسماما ومن السم الذي بمعنى الثقب قول الفرزدق:

فنفست عن سميه حتى تنفسا

وقلت له لا تخش شيئا ورائنا

عنى بسميه ثقبي أنفه، وأما الخياط فإنه المخيط وهي الإبرة قيل لها خياط ومخيط) تفسير ابن جرير الطبري ١٧٨/٨ .

وانظر إلى هذا المثل وتصديقه في إنجيل متى وما ورد في شأن الغني الكافر حيث يقول عيسى عليه السلام: (مَا أَصْعَبَ دُخُول الأَغْنِيَاءِ إِلَى مَلَكُوتِ الله! فَإِنَّ مُرُورَ جَمَلٍ فِي ثَقْبِ إِبْرَةٍ أَسْهَلُ مِنْ دُخُول غَنِيٍّ إِلى مَلَكُوتِ الله) الإصحاح التاسع عشر ٢٣:٢٦ .

وفي إنجيل مرقس: (مَا أَصْعَبَ دُخُولَ الأَغْنِيَاءِ إِلَى مَلَكُوتِ الله! فَدُهِشَ التَّلامِيذُ لِهَذَا الْكَلام، فَعَادَ يَسُوعُ يَقُولُ لَهُمْ: يَا بَنِيَّ، مَا أَصْعَبَ دُخُولَ الْمُتَّكِلِينَ عَلَى الْمَالِ إِلَى مَلَكُوتِ الله! فَأَسْهَلُ أَنْ يَدْخُلَ الجَمَلُ فِي ثَقْبِ إِبْرَةٍ مِنْ أَن يَدْخُلَ الْغَنِيُّ إِلَى مَلَكُوتِ الله، فَذُهِلُوا إِلَى الْغَايَةِ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ لِبَعْض: وَمَنْ يَقْدِرُ أَنْ يَخْلُصَ؟) الإصحاح العاشر ٢٣:٢٧

النص السابع: الحجر الذي رفضه البناؤون:

من حديث أبي هريرة رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ الله صلى الله عليه وسلم قَالَ: «إِنَّ مَثَلِي وَمَثَلَ الأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بَيْتًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ إِلا مَوْضِعَ لَبِنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْجَبُونَ لَهُ وَيَقُولُونَ هَلا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبِنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبِنَةُ وَأَنَا خَاتِمُ النَّبِيِّينَ) أخرجه البخاري في المناقب ٣٥٣٥ .

فالحديث يشير إلى أن كل نبي شكل لبنة في بناء النبوة، ومحمد صلى الله عليه وسلم وأمته آخر لبنة في هذا البناء، وقد ورد في الإنجيل ما يؤكد صدق هذه الحقيقة: (فَقَال لَهُمْ يَسُوعُ: أَلَمْ تَقْرَأُوا فِي الكِتَابِ، الحَجَرُ الذِي رَفَضَهُ البُنَاةُ هُوَ نَفْسُهُ صَارَ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ الأَسَاسِيَّ، مِنَ الرَّبِّ كَانَ هَذَا وَهُوَ عَجِيبٌ فِي أَنْظَارِنَا! لذلكَ أَقُولُ لكُمْ: إِنَّ مَلَكُوتَ الله سَيُنْزَعُ مِنْ أَيْدِيكُمْ وَيُسَلَمُ إلى شَعْبٍ يُؤَدِّي ثَمَرَهُ، فَأَيُّ مَنْ يَقَعُ عَلى هَذَا الحَجَرِ يَتَكَسَّرُ وَمَنْ يَقَعُ الحَجَرُ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ سَحْقًا!) إنجيل متى الإصحاح ٢١/٤٢: ٤٤ .

ولعل تفسير المثل في إنجيل لوقا أَبْيَنُ وأوضح، فقد بين لهم عيسى عليه السلام أن الله أرسل رسلا إلى أرضه التي استخلف الناس فيها يطالبونهم بالإيمان والتوحيد، وفي كل مرة يكذبون الرسل أو يقتلون الأنبياء إلى أن أرسل الله إليهم عيسى عليه السلام وهو المذكور في المثل من وجهة نظر كاتب الإنجيل أنه ابن الله فقتلوه، فأهلكهم الله وأورث الأرض لغيرهم وجعلهم أمة عظيمة، وهو كما ذُكر الحجر الذي رفضه البناة والمقصود به أمة الإسلام ونبيها، قال في إنجيل لوقا: (غَرَسَ إِنْسَانٌ كَرْمًا وَسَلَّمَهُ إِلَى مُزَارِعِينَ وَسَافَرَ مُدَّةً طَوِيلَةً، وَفِي مَوْسِمِ الْقِطَافِ أَرْسَلَ إِلَى الْمُزَارِعِينَ عَبْدًا لِكَيْ يُعْطُوهُ مِنْ ثَمَرِ الْكَرْمِ وَلَكِنَّ الْمُزَارِعِينَ ضَرَبُوهُ وَرَدُّوهُ فَارِغَ الْيَدَيْنِ، فَعَادَ وَأَرْسَلَ عَبْدًا آخَرَ إلا أَنَّهُمْ ضَرَبُوهُ أَيْضًا وَأَهَانُوهُ وَرَدُّوهُ فَارِغَ الْيَدَيْنِ، ثُمَّ عَادَ وَأَرْسَلَ عَبْدًا ثَالِثًا، فَجَرَّحُوهُ وَطَرَحُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ، فَقَالَ رَبُّ الْكَرْمِ: مَاذَا أَفْعَلُ؟ سَأُرْسِلُ ابْنِي الْحَبِيبَ لَعَلَّهُمْ يَهَابُونَهُ! وَلكِنْ مَا إِنْ رَآهُ الْمُزَارِعُونَ حَتَّى تَشَاوَرُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ قَائِلِينَ: هَذَا هُوَ الْوَرِيثُ، فَلْنَقْتُلْهُ لِيَصِيرَ الْمِيرَاثُ لَنَا فَطَرَحُوهُ خَارِجَ الْكَرْمِ وَقَتَلُوهُ، فَمَاذَا إِذَنْ يَفْعَلُ رَبُّ الْكَرْمِ بِهِمْ؟ إِنَّهُ يَأْتِي وَيُهْلِكُ أُولَئِكَ الْمُزَارِعِينَ وَيُسَلِّمُ الْكَرْمَ إِلَى غَيْرِهِمْ.

فَلَمَّا سَمِعُوا ذلِكَ قَالُوا: حَاشَا!، ولكِنَّهُ نَظَرَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: إِذَنْ مَا مَعْنَى هَذِهِ الآيَةِ الْمَكْتُوبَةِ: الْحَجَرُ الَّذِي رَفَضَهُ الْبُنَاةُ هُوَ نَفْسُهُ صَارَ حَجَرَ الزَّاوِيَةِ، مَنْ يَقَعُ عَلَى هَذَا الحَجَرِ يَتَكَسَّرُ، وَمَنْ يَقَعُ الحَجَرُ عَلَيْهِ يَسْحَقُهُ سَحْقًا) الإصحاح ٩/ ٢٠ : ١٨ .

ضوابط يجب ملاحظتها في توحيد الأسماء والصفات

بقلم العلامة الدكتور
محمد خليل هراس. رحمه الله.

إذا كان توحيد الأسماء والصفات يقوم على أن الله سبحانه مختص بما له من الأسماء والصفات، لا يشاركه فيها أحد من خلقه، وعلى وجوب إثبات كل ما أثبته الله لنفسه، أو أثبته له رسوله ﷺ من الأسماء والصفات من غير تمثيل ولا تعطيل. فإن هناك قواعد عامة في هذا الباب يجب رعايتها حتى نكون بمنجاة من التورط في ورطات الضلال التي وقعت فيها الفرق المختلفة. فمنهم من غلا في الإثبات حتى مثل الله بخلقه، ووقع في حمأة التشبيه. ومنهم من غلا في النفي والتعطيل حتى أدى به ذلك إلى جحد الذات نفسها واعتبارها عدمًا لا وجود له. ومنهم من أثبت الأسماء دون الصفات تحكما بلا دليل. ومنهم من أثبت بعض الصفات دون بعض، جريًا وراء وهم فارغ لا أصل له.

ولم يكن لهذا الضلال كله من سبب إلا الإعراض عن هدي الكتاب والسنة، والتصرف في نصوصهما بالتأويلات الفاسدة، والجري وراء الظنون الكاذبة، - بدعوى أنها عقليات لا تقبل النقض - والقول على الله سبحانه بلا علم.

أما تلك القواعد والأسس التي تجب ملاحظتها في هذا الباب فهي:

أولا: لا يصح أن يسمى الله عز وجل إلا بما سمى به نفسه، أو سماه به رسول الله ﷺ، ولا أن يوصف كذلك إلا بما وصف به نفسه أو وصفه به رسوله ﷺ، فإن أسماء الله تعالى كلها توقيفية لا يجوز إطلاق شيء منها على الله في الإثبات أو في النفي إلا بإذن من الشرع.

وما لم يصرح الشرع بنفيه ولا بإثباته يجب التوقف فيه حتى يعلم ما يريد به قائله، فإن أراد به معنى صحيحًا موافقًا لما ورد به النص قُبِل ولكن لا يعبر عنه إلا بألفاظ النصوص ولا يعدل عنها إلا لضرورة، وإن أراد به معنى فاسدًا وجب رده، والأصل في ذلك أن معرفة الله عز وجل بأسمائه وصفاته، هي من شئون الغيب التي لا سبيل إلى إدراكها بالعقل وحده، فإن العقل لا يتجاوز بقدرته نطاق هذا الوجود الحسي الذي يمكن أن ينفذ إليه من طريق الحواس. أما شئون الغيب فلا مجال له أن يحكم عليها بمقتضى أقيسته وبراهينه. وإنما وظيفته أن ينظر فيما جاءت به النصوص من أخبار هذه الغيوب فيثبت ما أثبتته النصوص وينفي ما نفته، من غير أن يضيف من عنده شيئًا لا في الإثبات ولا في النفي. ومهما توهم العقل أن صفة ما هي صفة كمال، لا يجوز له إثباتها ما لم تكن ثابتة بالشرع، ومهما توهم أن صفة ما هي صفة نقص لا يجوز له نفيها ما لم تكن منفية بالشرع، إذ لا عبرة في هذا الباب بوهم العقل فإنه قد أدى في كثير من الأحوال إلى نفي كثير من صفات الكمال في الكتاب والسنة.

ثانيا: يجب أن يكون معلوما أن الله عز وجل لا يماثل شيئا من خلقه ولا يماثله شيء، فكل ما ثبت له من الأسماء والصفات فمعناه يختص به لا يشاركه فيه أحد.

نعم قد يكون هناك أسماء مشتركة بين الله وبين خلقه أو بين صفاته وصفات خلقه، فهذه يجب أن لا توهم تشابهها في المسمى. لأن الاشتراك إنما هو في محض الاسم وفي القدر المشترك الذي يدل عليه عند الإطلاق، وذلك لا يوجب مماثلة أصلا بين الله عز وجل وبين من يسمى بهذه الأسماء أو يوصف بهذه الصفات من المخلوقين.

فتسمية الله تعالى قادرا لا توجب مماثلة قدرة الله لقدرة العبد، وكذا تسميته عالما ومريدا وحيا وسميعا وبصيرا ومتكلما وغير ذلك من أسمائه الحسنى التي قد تطلق على غيره لا توجب أن علمهم كعلمه ولا إرادتهم كإرادته ولا حياتهم كحياته.. إلخ.

والأصل في ذلك أن ما يوصف به العباد إنما يتعين ويتخصص بالإضافة فإن أضيف إلى الله كان معنى مختصًا به لا يليق بغيره، وإن أضيف إلى المخلوق كان معنى مختصا به يتنزه الله عز وجل عن الاتصاف به.

وفي تقرير هذه القاعدة على هذا الوجه حل لإشكالات كثيرة، فإن الذين نفوا عن الله عز وجل ما يطلق على خلقه من الأسماء والصفات وتأولوا ما ورد فيها من الآيات والأحاديث، إنما فعلوا ذلك لتوهمهم أن إثبات هذه الصفات يقتضي المماثلة بين الله وخلقه فعطلوا خوف التشبيه. ولو أنهم أدركوا أن لهذه الألفاظ إذا أطلقت على الله معاني أخرى غير التي تناسب المخلوق، لما وقعوا في حمأة التعطيل، ولكن من يضلل الله فما له من سبيل. وبناء على هذه القاعدة العظيمة يمكن أن نثبت لله كل ما ورد به الكتاب العزيز من صفات الاستواء والمجيء والإتيان يوم القيامة والتكليم والنداء والمناجاة بأصوات مسموعة وحروف مفهومة. والرحمة والحكمة. والرضى والغضب. والمحبة والكراهة. واليدين والعينين والوجه أو غيرها، وكذلك نثبت له ما وردت به السنة الصحيحة من صفات النزول إلى سماء الدنيا كل ليلة. والدنو من الحجاج عشية عرفة. والفرح بتوبة عبده حين يتوب والضحك وغيرها. ما دمنا نعتقد أن كل ما ثبت لله من هذه الصفات هو غير ما ثبت منها للمخلوقين.

ثالثا: أن كل ما ثبت لله من الصفات الوجودية فهو ثابت له على جهة الكمال المطلق الذي هو أقصى ما يمكن من الأكملية، بحيث لا يكون وراءه كمال آخر ولا يمكن أن يعرض لها النقص بوجه من الوجوه فهو سبحانه له المثل الأعلى في كل ما ثبت له من الأسماء والصفات، ولا يمكن أن يكون هذا المثل لأحد سواه. فصفاته وجدت كاملة من الأزل إلى الأبد، لم تكن ناقصة ثم كملت كما هو الحال في صفات غيره. ولا يمكن أن يطرأ عليها النقص الذي قد يطرأ على صفات المخلوقين. فحياته سبحانه أكمل حياة لأنها من لوازم ذاته، فهي أقدم حياة وأدوم حياة وأقوى حياة. ولا يمكن أن تسبق بموت ولا أن يلحقها موت. قال تعالى: ﴿وتوكل على الحي الذي لا يموت﴾.

وفي الحديث: «أعوذ بعزتك لا إله إلا أنت أن تضلني، أنت الحي الذي لا تموت والجن والإنس يموتون».

وكذلك كل ما تستلزمه هذه الحياة الكاملة من الصفات هو ثابت على أكمل وجه وأتمه. فقدرته أكمل قدرة لا يعجزه شيء ولا يصيبه لغوب أو إعياء، وعلمه أوسع علم وأشمله، فهو محيط بجميع المعلومات لا يمكن أن يند عنه مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء.

وإرادته أتم إرادة فلا يقع في ملكه إلا ما يريد، وسمعه وسع الأصوات كلها مهما خفتت فهو يسمع دبيب النملة السوداء على الصخرة الصماء في الليلة الظلماء. قال تعالى: ﴿وإن تجهر بالقول فإنه يعلم السر وأخفى﴾ وبصره أكمل الأبصار رؤية، فلا تغيب عنه ذرة مهما

دقت، ولا يؤثر فيه بُعد ولا يحجبه جدران ولا أستار قال تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار وهو يدرك الأبصار﴾ وكلامه أتم كلام وأبلغه، فلا يمكن أن يكون في كلامه خفاء أو قصور. قال تعالى: ﴿وتمت كلمة ربك صدقا وعدلا لا مبدل لكلماته وهو السميع العليم﴾ وهكذا الحال في جميع الصفات، لا يجوز أن تثبت له إلا على هذا الوجه من الكمال، وأما ما نفاه الله عز وجل عن نفسه أو نفاه عنه رسوله ﷺ من النقائص والعيوب، فإن هذا النفي بمجرده ليس كمالا، إذ الكمال لا يكون إلا أمرًا موجودًا، وأما الأمور السلبية أو العدمية فلا تكون كمالا إلا إذا تضمنت أمرًا وجوديًا.

ولهذا لم يرد في الكتاب ولا في السنة نفي نقص عن الله عز وجل إلا ويراد به إثبات ما يضاد ذلك النقص من صفات الكمال. فنفي العجز في قوله تعالى: ﴿وما كان الله ليعجزه من شيء﴾ إنما هو لإثبات كمال قدرته، ونفي السِّنة والنوم في قوله: ﴿لا تأخذه سنة ولا نوم﴾ إنما يراد به إثبات كمال حياته وقيوميته. ونفي الظلم في قوله: ﴿إن الله لا يظلم مثقال ذرة﴾ إنما هو لإثبات كمال عدله وحكمته. وهكذا في بقية الصفات.

ولهذا أيضًا لم يرد النفي في الكتاب ولا في السنة إلا مجملا في أغلب أحواله، كما في قوله تعالى: ﴿ليس كمثله شيء﴾ ﴿هل تعلم له سميا﴾ ﴿ولم يكن له كفوا أحد﴾.

وأما صفات الإثبات فيكثر ورودها على جهة الاستيعاب والتفصيل.

رابعًا: أن صفات الله تعالى نوعان:

(١) أحدهما صفات ذات وهي التي تكون لازمة لذاته لا تنفك الذات عنها أزلا وأبدا، ولا يتعلق شيء منها بمشيئته وقدرته. وذلك مثل صفات الحياة والعلم والقدرة والعزة والكبرياء والملك والمجد والعظمة والقوة ونحوها.

(٢) وثانيهما صفات أفعال لا تكون لازمة لذاته بل يجوز خلو الذات عنها، وتتعلق بها مشيئته وقدرته، فهو يحدثها سبحانه في ذاته شيئًا بعد شيء حسب اقتضاء حكمته، ولكن ليس لما يحدث منها في ذاته ابتداء بل تصدر أفرادها على التعاقب في الوجود متسلسلة شيئًا بعد شيء دون أن تنتهي السلسلة، لا في جانب الأزل، إذ لا ابتداء لها، ولا في جانب الأبد حيث لا انتهاء لها. قال تعالى: ﴿ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله﴾ ولنضرب لذلك مثلا بصفة الكلام، فإن الكلام منه صفة ذات وهو: قدرته تعالى على أن يتكلم متى شاء وكيف شاء، ولكن صدور الكلام منه بالفعل لا يكون إلا حادثًا بمشيئته وقدرته. إذ لا يعقل أن يكون كلم موسى في الأزل وقال له ﴿إني أنا ربك فاخلع نعليك﴾ بل كلمه حين جاء الميقات كما قال تعالى: ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾.

وكذلك صفة الإرادة، لا يعقل أن يكون أراد الأشياء كلها في الأزل وإلا لوجدت كلها في الأزل، بل كل مراد من المرادات إنما يقع بإرادة جزئية خاصة به كما قال تعالى: ﴿إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون﴾ وهكذا في جميع صفات الأفعال لا توجد أفرادها مجتمعة في الأزل بل لا توجد إلا على التعاقب فيما لا يزال. وهذا البحث مبسوط في كتابي (ابن تيمية السلفي) وفي كثير من كتب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله، فليرجع إليه من شاء.

أسأل الله أن يهدينا لما اختلف فيه من الحق بإذنه، إنه يهدي من يشاء إلى صراط مستقيم.

من نور كتاب الله

﴿ وَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴾ [القصص: ٦٠].

من هدي رسول الله ﷺ

عن جرير قال: ما حجبني رسول الله ﷺ منذ أسلمت ولا رآني إلا تبسم في وجهي.

من أقوال السلف

عن الإمام الشافعي قال: لأن يلقى العبد الله بكل ذنب ما خلا الشرك بالله خير له من أن يلقاه بشيء من الأهواء. [ذم الكلام ٢٩١].

قال سفيان: «البدعة أحب إلى إبليس من المعصية». زاد الأشج: لأن المعصية يتاب منها والبدعة لا يتاب منها. [ذم الكلام١٥٢].

وعن أبي عثمان قال: بملازمة السنة يصل العبد إلى شريف الأحوال. [ذم الكلام٣٨٥].

حكم ومواعظ

عن الحسن قال: إذا أتاك الشيطان فرآك مداومًا في طاعة الله فبغاك وبغاك أي طلبك مرة بعد مرة- فرآك مداومًا ملّك ورفضك- وإذا كنت مرة هكذا ومرة هكذا طمع فيك. [الزهد للحسن البصري-٧٥].

وقال أيضا: حقيق على كل من عرف أنَّ الموت مورده والقيامة موعده والوقوف بين يدي الجبار مشهده أن تطول في الدنيا حسرته وفي العمل الصالح رغبته. [ص ٢٢].

من أدب العلماء

قالت امرأة يحيى بن يحيى: رأيت يحيى دخل بيتًا وقدم إسحاق، فقلت ليحيى: أنت أكبر أم إسحاق؟ قال: أنا. قلت: فلم قدمته؟ قال: قدمت العلم. [ذم الكلام ٤/٢٥٧].

من وصايا السلف

قال ابن مسعود رضي الله عنه: إنها ستكون أمور مشتبهة فعليكم بالتؤدة فإن يكن الرجل تابعًا في الخير خيرًا له من أن يكون رأسًا في الشر. [البدع لابن وضاح ٩ ١٦].

تأويلات فاسدة

تأويلهم لصفة «الرحمة»

وتأويل معنى: اسم الله «الرحمن» واسمه «الرحيم» بأن المراد من الرحمة الإنعام هذا التأويل باطل لأن صفة الرحمة من الصفات الذاتية، والإنعام صفة من الصفات الفعلية. ثم إن الإنعام لازم للرحمة لا بمعنى الرحمة فلا يجوز إثبات اللازم ونفي الملزوم بل يجب إثبات اللازم مع إثبات الملزوم، فالرحمن والرحيم اسمان دالان أنه تعالى ذو الرحمة الواسعة.

وصايا إلى طلاب العلم

جنة العالم: «لا أدرى» ويهتك حجابها: الاستنكاف منها، وقوله: يقال.......

وعليه: فإن كان نصف العلم: لا أدري، فنصف الجهل «يقال: وأظن». [حلية طالب العلم-٤٥٩].

مصطلحات تهم طلاب العلم

واعلم أن الحديث الصحيح إن كان راويه واحدًا يسمى «غريبًا» ويسمى فردًا، وإن كان اثنين يسمى «عزيزًا»، قيل: ولو كانا في طبقة واحدة، وإن كانوا أكثر من ذلك يسمى «مشهورًا أو مستفيضًا». [قواعد التحديث-١٢٣].

من أخطاء المصلين

قول بعض المأمومين عند قول الأمام: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾: «استعنت بالله». فلم يثبت عن النبي ﷺ أنه قال ذالك عند هذه الآيه.

نوادر وطرائف

سأل رجل أشعب أن يسلفه ويؤخره، فقال: هاتان حاجتان، فإذا قضيت لك إحداهما فقد أنصفتك. قال الرجل: رضيت. قال: فأنا أؤخرك ما شئت ولا أسلفك.

من كلمات العرب

تنعّم الرجل: إذا مشى حافيًا مأخوذ من النعام وهي باطن القدم.

الانكماش: التشمير في الأمر والجدية وليس التأخر عنه وترك العزيمة فيه كما يظن الناس.

الخريت: هو الدليل الحاذق. [تثقيف اللسان-٣٥٣].

من درر العلماء

قال الآجري في كتاب «الشريعة»: قد ذكرت من التحذير من مذاهب الخوارج ما فيه بلاغ لمن عصمه الله تعالى عن مذهب الخوارج ولم ير رأيهم، وصبر على جور الأئمة وحيف الأمراء، ولم يخرج عليهم بسيفه، وسأل الله تعالى كشف الظلم عنه، وعن المسلمين، ودعا للولاة بالصلاح، وحج معهم، وجاهد معهم كل عدو للمسلمين، وصلى معهم الجمعة والعيدين، فإن أمروه بطاعة فأمكنه أطاعهم، وإن لم يمكنه اعتذر إليهم، وإن أمروه بمعصية لم يطعهم، وإذا دارت الفتن بينهم لزم بيته، وكف لسانه ويده، ولم يهو ما هم فيه، ولم يعن على فتنة، فمن كان هذا وصفه كان على الصراط المستقيم إن شاء الله. [(ص ١٥٧)].

الإسلام: توحيد وسنة

قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: دين الإسلام مبني على أصلين: على أن يُعبد اللهُ وحده لا يشرك به شيءٌ، وعلى أن يعبد الله بما شرعهُ على لسان نبيه ﷺ، وهذان هما حقيقة قولنا: «أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله». فالإله هو الذي تألهه القلوب عبادة واستعانة ومحبة وتعظيمًا وخوفًا ورجاءً وإجلالاً وإكرامًا، والله عز وجل له حقٌّ لا يشركه فيه غيره، فلا يعبد إلا الله، ولا يدعى إلا الله، ولا يخاف إلا الله، ولا يطاع إلا الله. [«قاعدة جليلة» (ص١٧٩)].

تخصيص لون معين للدلالة على الحزن على الميت!!

لا يجوز لبس ملابس بلون معين للدلالة على الحزن، حيث إن هذا من الجزع والاعتراض على قضاء الله وقدره، حيث إن الحداد الشرعي هو ترك الزينة وليس لبس لون معين.

والحداد على الزوج مدته أربعة أشهر وعشرة أيام، وعلى غير الزوج ثلاثة أيام فقط، ومن السنة لبس الأبيض من الثياب في حالة الشدة والرخاء والحياة والموت؛ لقول النبي ﷺ: «البسوا من ثيابكم البياض فإنها من خير ثيابكم». [صحيح. رواه أبو داود].

النياحة على الميت ولطم الخدود ودعوى الجاهلية

لا يجوز الصياح على الميت بأي حال، وبأي ألفاظ، ويأثم كل من يفعل ذلك، إن لم يتب، لأن هذا اعتراض على قضاء الله وقدره، ولا يجوز لطم الخدود وشق الجيوب ودعوى الجاهلية كمن تقول: يا جملي، يا سبعي، يا أسدي، يا خراب بيتي من بعدك.

قال ﷺ: «ليس منا من لطم الخدود وشق الجيوب ودعا بدعوى الجاهلية».

مما يقع من النساء في الجنازة، فإن قبحه صار معروفًا للكل، حتى أصبحت النساء من الأمراض التي أعيت الناصحين وصارت أكبر عون للشيطان على تنفيذ كل ما يمليه عليهن من عادات الجاهلية، كالضرب والنياحة وشق الجيوب ولطم الخدود ورفع الأصوات بالصراخ والتكلم بكلمات الكفر والتسخط على الأقدار والاعتراض عليها، إلى غير ذلك من القبائح المشهورة، قال ﷺ: «النائحة إذا لم تتب قبل موتها تقام يوم القيامة وعليها سربال من قطران ودرع من جرب». [رواه مسلم].

إعداد: د. طلعت زهران

وإن الميت ليعذب بما نيح عليه إن لم يتبرأ قبل موته من هذه الأفعال، أما البكاء فجائز، فقد ورد عن النبي ﷺ أنه قال: لم أنه عن البكاء، إنما نهيت عن صوتين أحمقين فاجرين: صوت عند نغمة مزمار، وصوت عند المصيبة. [صحيح].

إقامة السرادقات في العزاء والأربعين واستئجار المقرئين والسبحة والخميس

إن الجنائز اليوم صارت مواطن للافتخار والرياء، فترى أهل الميت يجتهدون في أن يكون المشهد محل إعجاب الناس وحديثهم من إحضار سرادق وفرشه بالبسط والكراسي المذهبة والمفضضة ومكبرات الصوت والنجف والأنوار المتدلية وباقات الورود وفرش الرمال وتوزيع القهوة والدخان وإحضار المقرئين لتلاوة القرآن. لا شك في حرمة كل ذلك لما فيه من إضاعة المال بغير غرض شرعي ولا يفيد الميت في شيء ومخالف للسنة وبدعة وضلالة، حيث لم يثبت شيء من هذا عن الصحابة رضي الله عنهم، ولم يثبت عن السلف أنهم جلسوا بقصد أن تذهب الناس إلى تعزيتهم، وقال الإمام الأوزاعي: «الحق أن الجلوس للتعزية على الوجه المتعارف في هذا الزمان مكروه». فما بالك بهذا الزمان!!

فلا يجوز الاجتماع للتعزية أو لإحياء ذكرى الأربعين والخميس والسنوية، أما

واعتقادات خاطئة

القرآن فقد أنزله الله للأحياء للعمل به، وليس لأن يقرأ على الأموات، قال تعالى: ﴿إِنْ هُوَ إِلاَّ ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُبِينٌ. لِيُنْذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا﴾ [يس: ٦٩، ٧٠].

وأما عن الذبح عند خروج النعش أو عند القبر فهذا عمل لا يجوز، فهو الذبح لغير الله وإن قصد به الذبح للميت تعظيمًا له وتقربًا له فهو شرك أكبر والعياذ بالله، وإن كانوا يذبحون لله فهو بدعة ضلالة.

وأما السبحة والخميس الأول والثاني فهو من البدع التي ابتدعها أهل الزيغ تشبهًا بغيرهم ولم يكن من هديه ﷺ أن يجتمع للعزاء عند القبر ولا عند غيره، وعن جرير ابن عبد الله أنه قال: كنا نعد الاجتماع إلى أهل الميت وصنعهم الطعام بعد الدفن من النياحة.

خروج النساء للمقابر في خميس رجب وشعبان

كل ذلك لا يجوز؛ لما فيه من البدع والفتن وتجديد الأحزان وانتهاك حرمة الأموات بما يحدث من الأكل والشرب والحكايات والغيبة والنميمة وكشف العورات، ولا تصح الزيارة خصيصًا في العيدين؛ لأن العيد للفرحة وليس للحزن، فهذه عادة سيئة أن يخرج الناس بعد الصلاة للمقابر، وقد شرعت زيارة المقابر للاتعاظ والعبرة والتذكرة.

وكانت المقابر في طريق رسول الله ﷺ، ولم يثبت زيارته لها في الأعياد.

تخصيص يوم النصف من شعبان بصيام وقيام، وكذلك ليلة ٢٧ رجب

وهذا من البدع الفاشية الاحتفال بليلة النصف من شعبان بالصلاة والدعاء «دعاء النصف من شعبان» وصيام نهارها، هذا لم يكن على عهد رسول الله ﷺ ولا أحد من الصحابة، ولم يثبت في تخصيصها بعبادة أي حديث صحيح مع إقرارنا بفضيلة هذه الليلة وصحة الأحاديث الواردة في ذلك.

وكذلك الإسراء والمعراج لم يثبت أنه كان في ٢٧ رجب، بل اختلف في وقته، والراجح أنه كان في ١٢ ربيع الأول، فلا يجوز تخصيصها بقيام ولا صلاة مبتدعة ولا دعاء معين، فكل هذا بدعة. فالعبادات توقيفية.

تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها وخاصة صلاة الصبح وصلاة العشاء

لا يجوز تأخير الصلاة حتى يخرج وقتها أو جمع أكثر من فرض إلا في حالة السفر أو المرض الشديد وعذر شديد يبيح الجمع بين الصلاتين المشتركتين كالظهر والعصر، والمغرب والعشاء. قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلاَتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٤، ٥] أي التهديد والوعيد بالعذاب لمن يؤخر الصلاة حتى يخرج وقتها دون عذر، وإن تأخير صلاة الصبح حتى تشرق الشمس تعمدًا ودون الأخذ بالأسباب يجعلها صلاة في غير وقتها؛ لأن وقت صلاة الصبح من أذان الفجر الصادق حتى قبيل شروق الشمس ولو بركعة واحدة، قال تعالى: ﴿إِنَّ الصَّلاَةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣].

وقال ﷺ: «لا تترك صلاة مكتوبة معتمدًا، فمن تركها متعمدًا فقد برئت منه الذمة». [صحيح. ابن ماجه (٧٣٣٩)].

وأما عن صلاة العشاء فإن آخر وقتها منتصف الليل.

وفقنا الله إلى ما يحبه ويرضاه.

قيم تربوية في حياة المبشرين بالجنة

بقلم/ محمد عبد الحكيم القاضي

على رأس الصحابة، والأمة كلها، يذكر عشرة من صحابة رسول الله ﷺ، جمعوا في جملتهم عناصر من الخير متعددة، وروافد من البر متنوعة، بحيث يصلح أن يكونوا معا نموذجًا لأمة فريدة متميزة. وقد أطلق على هؤلاء اسم «العشرة المبشرون بالجنة» وذلك للحديث الصحيح المشهور عن رسول الله ﷺ، الذى بشرهم بالجنة واحدًا واحدًا حين قال:

«أبو بكر فى الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعلي في الجنة... الحديث»[1].

وقد شاع هذا الاسم حتى أصبح اصطلاحًا عند العامة والخاصة، وحسبنا أن يبدأ الإمام أحمد ابن حنبل مسنده الضخم في الحديث بذكر رواية «العشرة»، ويقصد العشرة المبشرين؛ لأن مصطلح العشرة أصبح ينطلق بداهة على هؤلاء العشرة، فهناك الذى يصنف «مسند العشرة» والذي يصنف «مناقب العشرة» وهم يعنون هؤلاء العشرة الصحابة المميزين على الأمة ببشارة النبي صلوات الله عليه ﷺ إياهم.

مبشرون آخرون

وعلى الرغم مما في ذيوع هذا (المصطلح) من دلالات تاريخية وتربوية ينبغي أن يفرد لها بحث يستكشف أعماقها، أقول: على الرغم من ذلك فقد غطى ذيوعه على بعض الأحاديث المفردة الأخرى التي تصرح بالبشارة بالجنة لآخرين من الصحابة، لهم ميزات خلقية خاصة جعلتهم حقيقين بهذه البشارة.

ولو ذهبنا نعد هؤلاء المبشرين ومناقبهم، لأعيانا الاستقصاء، فلعل في الإشارة إلى بعضهم هنا إيحاءً بما كانوا عليه من عظيم البر، وكبير القدر، وإيماءً إلى بعض الدروس العملية من القدوة للكبير والصغير، والشيخ والشاب، والرجل والمرأة، والغني والفقير من أمتنا في ظروفها الحضارية المليئة بالتحدي والمجابهة.

أم المؤمنين خديجة

فتبرز السيدة خديجة بنت خويلد[2] رضي الله عنها أقدم أمهات المؤمنين، وأول الناس إسلامًا على الإطلاق[3]، ومثال الزوجة الصالحة الأنيسة الودود، التى تقف عند الشدائد موقف الساعد والظهير، قال لها النبى ﷺ يوم حراء: «قد خشيت على نفسي» فأجابته بتأييد الوامق، وتأكيد الواثق: «كلا، فوالله لن يخزيك الله أبدًا؛ إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق»[4].

إن مواقف خديجة من الدعوة لتحتاج إليها كل مسلمة، خصوصًا صاحبات الشرف والمنصب والحظوة، والمثقفات، وأزواج الدعاة إلى الله تعالى؛ فهى مع زوجها النبي ﷺ خطوة بخطوة، لا تراعيه وحده، وإنما تحمل هم الدعوة إلى الله في مراحلها وأفرادها ووسائلها، حتى كانت وفاتها سببا من أسباب طمع المشركين فى تشديد الأذى على رسول الله ﷺ ومن معه، قال ابن

إسحاق: «تتابعت على رسول الله ﷺ المصائب بهلاك أبي طالب وخديجة، وكانت وزيرة صدق» ولم يكتم النبي صلوات الله عليه إحساسه بفقدها، إذ قال لعائشة رضي الله عنها: «لا والله ما بدلني الله خيرًا منها؛ آمنت بي إذ كفر الناس، وصدقتني إذ كذبني الناس، وواستني بمالها إذ حرمني الناس، ورزقني الله منها الولد»[٥]. وقال الذهبي: «ومناقبها جمة، وهي ممن كمل من النساء، كانت عاقلة جليلة دينة، مصونة، كريمة من أهل الجنة»[٦].

ولقد كانت بشارتها بالجنة بشارة خاصة من رب العزة سبحانه، قال أبو هريرة رضي الله عنه: «أتى جبريل النبي ﷺ، فقال: هذه خديمة أتتك، معها إناء فيه إدام أو طعام أو شراب، فإذا هي أتتك فاقرأ عليها السلام من ربها ومني، وبشرها ببيت في الجنة من قصب، لا صخب فيه ولا نصب»[٧].

والقصب، بفتحتين اللؤلؤ المجوف.

بلال بن رباح[٨]

«بم سبقتني إلى الجنة؟ دخلت الجنة فسمعت خشخشتك بين يدي!»[٩]. قالها رسول الله ﷺ لبلال، وحاشا لبلال أن يسبق رسول الله إلى الجنة، ولكنها مواصلة البر بالنبي ﷺ، ومداومة الوفاء له، فهو يمشي بين يدي النبي في الجنة كما كان يمشي بين يديه في الدنيا، حفاظًا عليه وصونا لنفسه الشريفة من الأذى، قال الحافظ ابن حجر: «وكأنه أشار إلى بقاء بلال على ما كان عليه في حال حياته واستمراره على قرب منزلته، وفيه منقبة عظيمة لبلال»[١٠].

ووفاء بلال لرسول الله صلوات الله عليه يفوق الوصف، فضلا من وفائه لله ولدعوة الحق، التي كانت سببًا في شدة أذاه، حتي احتمل مالا يحتمله أحد، من التنكيل، والضرب، والتفنن في صنوف العذاب، قال محمد بن إسحاق: «... وكان صادق الإسلام، طاهر القلب، وكان أمية يخرجه إذا حميت الظهيرة، فيطرحه على ظهره في بطحاء مكة، ثم يأمر بالصخرة العظيمة فتوضع على ظهره...»[١١] قال عبد الله بن مسعود: «... وأما سائرهم (يعني باقي السابقين للإسلام) فأخذهم المشركون، وألبسوهم أدرع الحديد، ثم صهروهم في الشمس، فما منهم أحد إلا واتاهم على ما أرادوا إلا بلالا، فإنه هانت عليه نفسه في الله، وهان على قومه، فأعطوه الولدان (يعني: وهو مقيد يزحف) فجعلوا يطوفون به في شعاب مكة، وهو يقول: أحد أحد[١٢]».

وقد أعتقه أبو بكر رضي الله عنه، كان لله وللإسلام أكثر وفاءً، فقد شهد بدرًا والمواقع، وفتح مكة، وأذن فوق الكعبة يوم الفتح، وكان عابدًا مجاهدًا، قال لأبي بكر الصديق رضي الله عنه بعد وفاة النبي ﷺ: «إن كنت إنما اشتريتني لنفسك فأمسكني، وإن كنت إنما اشتريتني لله فدعني وعمل الله». ويبدو أن أبا بكر تركه للعبادة والجهاد في سبيل الله على اختلاف بين الروايات في ذلك.

نعم: كان بلال سيدًا، كما قال عمر بن الخطاب: «أبو بكر سيدنا، وأعتق سيدنا». فالسيادة والنُّبل ليسا بالنسب، وإنما بالانتماء للشرف والمجد وعلو الدرجات، ومن ثم فقد أنصف الحافظ الذهبي حين أدرجه في «سير أعلام النبلاء»، وقال: «من السابقين الأولين الذين عذبوا في الله، شهد بدرًا، وشهد له النبي ﷺ على التعيين بالجنة، وحديثه في الكتب»[١٣].

سعد بن معاذ[١٤]

وهو رجل الشدائد والمواقف والناصر في ساعات العسرة، عرف مصعب بن عمير والصحابة الإسلام في وجهه قبل أن يتكلم، لإشراقه وتسهله، وكان إسلامه فتحًا للإسلام ولقومه من الأوس، فأسلموا جمعيا، قال ابن هشام «قالوا: فوالله ما أمسى في دار بني عبد الأشهل رجل ولا امرأة إلا مسلمًا أو مسلمة»[١٥].

وأول ما تلمح في سيرة سعد رضي الله عنه في الإسلام، هو مدى إفادته من مكانته وموقفه الاجتماعي في توسيع إمكانات الدعوة، وتمديد عطاءاتها. وهو ملمح يحتاجه كل صاحب منصب، أو رئاسة، أو زعامة؛ ها هو ذا في إبان غزوة بدر، والنبي يريد اهتبال الفرصة ليشفي صدر المهاجرين من عدوهم من الكفار، الذي أخرجوهم من ديارهم وأموالهم لأنهم قالوا: ربنا الله.

وكان الأنصار قد بايعوا رسول الله في العقبة على منعه وحمايته في ديارهم، فلما عزم النبي صلوات الله عليه على الخروج استشارهم في جماعة من أصحابه ليتحسس ما عندهم، فتكلم المهاجرون فأحسنوا، إلا أن رسول الله ﷺ استشارهم ثانية، فأدرك سعد بن معاذ بحسه الصادق، وذكائه الصافي أنه إنما يريد الأنصار، وهنا ينطق الوفاء والولاء والمسئولية الرفيعة على لسان سعد «يا رسول الله: كأنك تعرض بنا؛ لعلك تخشى أن تكون الأنصار ترى حقا عليها ألا ينصروك إلا في ديارهم، وإني أقول عن الأنصار وأجيب عنهم؛ فاظعن حيث شئت، وصل حبل من شئت، واقطع حبل من شئت، وخذ من أموالنا ما شئت، وأعطنا ما شئت، وما أخذت منا أحب إلينا مما تركت، فوالله لئن سرت حتى تبلغ البرك من غمدان لنسيرن معك، ووالله لئن استعرضت بنا هذا البحر خضناه معك»[١٦].

أخلاق السيادة وتبعاتها

إن الذي يهزك في هذه الكلمات الناطقة بالرجولة الحقة، والولاء الخالص، ليس هو النبض الحماسي الذي ينطوي على إيمان عميق، وتضحية صادقة فقط، وإنما هو أن سعد بن معاذ لم يفكر أن ينتظر حتى يستشير الأوس بله الأنصار جميعا ليرى ما رأيهم في هذه القضية المصيرية بالنسبة لهم، خصوصًا وأن بنود العهد مع النبي الكريم لا تشمل وجوب الدفاع عنه خارج حدود المدينة، وذلك أن منطق اللحظة فرض نفسه على سيد القوم، والعقل المؤمن هنا لا يرى من المروءة ومكارم الأخلاق أن يتبصر في حقوقه النظرية حول شمولية الدفاع أو محدوديته، وإنما يراها في حق المصطفى صلوات الله عليه واقعًا في تمديد العهد وتوسيع نطاق الدفاع عنه ومنعه، بفاعلية قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللهِ وَلاَ يَرْغَبُوا بِأَنْفُسِهِمْ عَنْ نَفْسِهِ﴾ [التوبة:١٢٠].

وما كان قرارًا للسيد فهو قرار للقوم بطريق التبعية إن لم يكن بطريق الاتباع، وإلا ففيم السيادة؟

ومواقف سعد بن معاذ التي تتسم بعبقرية السيادة كثيرة، إلا أننا تجتزيء منها هذا الموقف الذي أثنى عليه رسول الله ﷺ، وهو موقفه من يهود بني قريظة وحكمه عليهم[١٧]؛ وكان سعد رضي الله عنه يدعو الله. بعد جرحه في غزوة الخندق ألا يميته حتى يقر عينه من بني قريظة»[١٨]. فلما كثرت خيانات اليهود لله ورسوله بالمدينة، وتقرر إنهاء جرائمهم وفسادهم، حاصرهم رسول الله ﷺ خمسا وعشرين ليلة حتى نزلوا على حكمه ﷺ.

وهنا يقع اختيار القائد الملهم من ربه على النائب المناسب لإصدار الحكم، وهو سعد بن معاذ، وهو يعلم أن بني قريظة هم موالي الأوس عشيرة سعد رضي الله عنه، ومن ثَم فإن حكمه سيرضى عنه الأنصار خصوصًا الأوس ولن تستنكره اليهود. ثم هو يعرف من يكون سعد بن معاذ، الذي لا يحتاج إلى توصية إذا تعلق الأمر بنصرة الله رسوله.

وجاء سعد بن معاذ إلى رسول الله ﷺ على حمار والأوس من حوله يستحثونه أن يحسن إلى بني قريظة في حكمه لأنهم مواليهم، وهو صامت، فلما أكثروا عليه، قال: «لقد آن لسعد ألا تأخذه في الله لومة لائم». حتى بلغوا رسول الله، فأخبره أن القوم قد نزلوا على حكمه، قال سعد للأوس

مستوثقًا: عليكم بذلك عهد الله وميثاقه أن الحكم فيهم لما حكمت؟ قالوا: نعم. قال سعد: فإني أحكم فهم أن تقتل الرجال، وتقسم الأموال، وتسبى الذراري والنساء[١٩]. أقول: بخ بخ!! هكذا تكون السيادة، تلك السيادة التي تتجافى ساعة نداء الحق عن كل علائق التحالفات والمعاهدات المؤقتة، التي ينبغي أن تنتهي عند حلول ساعة (الصفر)، وهذا الدرس موجه خصيصًا للسادة في كل زمان، خصوصًا هذا الزمان الذي دأبوا فيه على احترام مواثيق وتعاهدات نبذها أطرافها، ومسحوا بها أحذيتهم، مع الأذى الشديد منهم لله ولرسوله وللمؤمنين. أفلا كان موقف سعد بن معاذ منارة رشد وسراج اهتداء؟

ولكي يتأكد الأوس والأنصار والمسلمون القادمون أيضًا أن حكم سعد لم يكن به شبهة إجحاف، أو ذرة هوى، ينطق الصادق المصدوق ﷺ بقوله، مؤيدًا هذا الحكم: «لقد حكمت فيهم بحكم الله من فوق سبع سماوات»[٢٠].

من أجل هذا وكثير على شاكلته من سيرة هذا السيد الفقيه الواعي لم يكن مستغربًا أن يخبر النبي أصحابه ومن بعدهم أن عرش الرحمن قد اهتز لموت سعد بن معاذ، ولا هو مستغرب أن يرى القائد الكريم أصحابه يتعجبون لحلة الحرير الرقيق فيقول لهم: «أتعجبون من لين هذه؟ لمناديل سعد بن معاذ في الجنة خير منها وألين»[٢١].

وتبقى القيم

نعم.. تذهب الرجال من حيث كونها لحومًا وعظامًا وجوارح، لكن يبقى الرجال أنفسهم باعتبارهم قيما ومبادئ وقيادات تربوية للأمة، وزادًا فكريا وحضاريًا لها في محنها وتحدياتها مع أعدائها،، ونبعًا فياضًا بالعطاء لها في إدارة واقعها واستشراف مستقبلها.

وهذا هو جل ما قصدناه من وراء هذه الدراسة. والله من وراء القصد

﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴾ [ق:٣٧].

الهوامش

(١) أخرجه أحمد والترمذي وغيرهما:

المسند: ١/١٩٣

سنن الترمذي: كتاب المناقب، باب عبد الرحمن بن عوف ح٣٧٤٧.

(٢) ترجمتها في: (أسد الغابة: ٧/٧٨، الإصابة: ٤/٢٨١، سير أعلام النبلاء: ٢/١٠٩، السمط الثمين للمحب الطبري ط/ القيمة ص ٣٣:٥٥).

(٣) قال ابن الأثير في أسد الغابة ٧/٧٨: «خديجة أول خلق الله أسلم، بإجماع المسلمين».

(٤) الحديث رواه الجماعة:

وانظر: البخاري (كتاب بدء الوحي، باب كيف بدأ الوحي ح٣)، ومسلم

(٥) سيرة ابن هشام: ١/٤٢٦ .

(٦) سير أعلام النبلاء للذهبي: ١ / ١٠٩،١١٠ .

(٧) متفق عليه:

(٨) ترجمته في: الطبقات: ٣/١٧٤، الاستيعاب ١/١٧٨، الإصابة: ١/١٦٥، سير أعلام النبلاء: ١/٣٤٧).

(٩) البخاري ومسلم وغيرهما بألفاظ مختلفة.

(١٠) الفتح: ٣/٣٥ .

(١١) سيرة ابن هشام (دار الحديث : ١/٢٦٢).

(١٢) حلية الأولياء أبي نعيم: ١/١٤٩ .

(١٣) سير أعلام النبلاء: ١/٣٤٧ .

(١٤) ترجمته في:

(الطبقات: ٣/٦٧، أسد الغابة: ٤/ ٦٧،٦٨، الإصابة: ٣/٨٧).

(١٥) سيرة ابن هشام: ٢/٤٣ .

(١٦) البداية والنهاية: ٢/٣٩٥ .

(١٧) الحديث حسن الإسناد:

وقد رواه أحمد في المسند ٦/١٤١ .

وراجع: سيرة ابن هشام ٢/٢٢٦، الإصابة ٤/١٧١ .

(١٨) ابن هشام: ٢/٢٢٦، المسند ٦/١٤١ .

الإصابة: ٤/١٧١.

(١٩) راجع الحاشية التالية.

(٢٠) البخاري ومسلم وغيرهما.

(٢١) متفق عليه:

الإعــــلام

بسير الأعلام

أبو قلابة الجرمي

بقلم / مجدي عرفات

اسمه ونسبه:

هو عبد الله بن زيد بن عمرو أو عامر بن نايل بن مالك أبو قِلابة الجرمي البصري، وجرم: بطن من الحافي بن قضاعة.

مولده: غير معروف بالتحديد مولده ولعله سنة خمسين أو قبلها بقليل.

شيوخه: روى عن ثابت بن الضحاك وأنس بن مالك، ومالك بن الحويرث، وسمرة بن جندب، وابن عباس، وأبي هريرة، وعائشة، وغيرهم من الصحابة، وخلق من التابعين، وكان يدلس.

تلاميذه والرواة عنه

روى عنه ثابت البناني وقتادة وأيوب السختياني وخالد الحذاء وعاصم الأحول وحسان بن عطية وخلق سواهم.

ثناء العلماء عليه

قال ابن سعد: كان ثقة كثير الحديث.

قال مالك: مات ابن المسيب والقاسم ولم يتركوا كتبًا ومات أبو قلابة فبلغني أنه ترك حمل بغل كتبًا.

قال ابن سيرين: أبو قلابة إن شاء الله ثقة، رجل صالح.

قال أيوب: كان والله من الفقهاء ذوي الألباب، إني وجدت أعلم الناس بالقضاء أشدهم منه فرارًا وأشدهم منه فرقًا، وما أدركت بهذا المصر أعلم بالقضاء من أبي قلابة لا أدري ما محمد، يعني ابن سيرين.

قال له عمر بن عبد العزيز لما حدثه بحديث العرنيين: لن تزالوا بخير ما دام هذا فيكم أو مثل هذا.

قال العجلي: بصري تابعي ثقة.

قال أبو نعيم: ومنهم اللبيب الناصح، والخطيب الفاصح كَثُرَ إشفاقه فكثر إنفاقه، أبو قلابة عبد الله بن زيد الجرمي.

قال الذهبي: الإمام شيخ الإسلام.

قال ابن حجر: ثقة فاضل كثير الإرسال.

من أحواله وأقواله

قال لأيوب: يا أيوب إذا أحدث الله تعالى لك علمًا فأحدِث له عبادة.

قال: ما من أحد يريد خيرًا أو شرًا إلا وجد في قلبه آمرًا وزاجرًا، آمرًا يأمر بالخير، وزاجرًا ينهى عن الشر.

قال: مثل العلماء كمثل النجوم التي يهتدى بها والأعلام التي يقتدى بها، فإذا تغيبت تحيروا وإذا تركوها ضلوا.

قلت: يأمر باتباع العلماء.

قال: العلماء ثلاثة؛ فعالم عاش بعلمه وعاش الناس بعلمه، وعالم عاش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه، وعالم لم يعش بعلمه ولم يعش الناس بعلمه.

قلت: يحث على العلم ونشره.

قال: مثل الناس والإمام كمثل الفسطاط لا يقوم الفسطاط إلا بعمود ولا يقوم العمود إلا بالأوتاد وكلما نزع وتد ازداد العمود وهنًا.

قلت: يحث على الاجتماع وعدم الاختلاف والخروج على الأمراء.

قال: إذا كان الإنسان أعلم بنفسه من الناس فذاك قمن أن ينجو، وإذا كان الناس أعلم به من نفسه فذاك قمن أن يهلك.

قال: إذا بلغك عن أخيك شيء تكرهه فالتمس له العذر جهدك، فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعل لأخي عذرًا لا أعلمه.

قال غيلان بن جرير: استأذنت على أبي قلابة، فقال: ادخل إن لم تكن حروريًا، يعني من الخوارج.

قال أيوب: رآني أبو قلابة وأنا أشتري تمرًا رديئًا، فقال: قد كنت أظن أن الله تعالى قد نفعك بمجالسنا، أما علمت أن الله تعالى قد نزع من كل رديء بركته.

قال أبو قلابة رحمه الله: ما أمات العلم إلا القصاص، يجالس الرجلُ الرجلَ القاص سنة فلا يتعلق منه بشيء، ويجلس إلى العلم فلا يقوم حتى يتعلق منه بشيء.

قلت: القصاص هم الوعاظ، صدق رحمه الله، فإن الناس يلتفون حول الواعظ السنة والسنين ويسمعون منه الكثير ثم إذا سئل عن أي علم تعلم لا يجد جوابًا ولا علمًا مستفادًا إلا كثرة المجالس بلا فائدة، فالوعاظ يصدون الناس عن طلب العلم بمجالسهم فيميتون العلم الصحيح.

قال رحمه الله: ما ابتدع الرجل بدعة إلا استحل السيف.

قلت: نعوذ بالله من البدع وأهلها وشرورهم، ولذلك حذر من مجالستهم.

فقال: لا تجالسوا أهل الأهواء ولا تحادثوهم، فإني لا آمن أن يغمسوكم في ضلالتهم أو يلبسوا عليكم ما كنتم تعرفون.

أقول: فرّ من البدعي فرارك من الأسد لا يفترسك.

قال رحمه الله: مثل أهل الأهواء مثل المنافقين، فإن الله ذكر المنافقين بقول مختلف وعمل مختلف وجماع ذلك الضلال، وإن أهل الأهواء اختلفوا في الأهواء واجتمعوا على السيف.

قال أيوب: لما مات عبد الرحمن بن أذينة- يعني قاضي البصرة زمن شريح- ذكر أبو قلابة للقضاء فهرب حتى أتى اليمامة، قال: فلقيته بعد ذلك فقلت له في ذلك، فقال: ما وجدت مثل القاضي العالم إلا مثل رجل وقع في بحر فما عسى أن يسبح حتى يغرق.

قال خالد الحذاء: كان أبو قلابة إذا حدثنا بثلاثة أحاديث قال: قد أكثر. قلت: أي أنه كان مقلاً من الرواية.

قال رحمه الله: إذا حدثت الرجل بالسنة فقال: دعنا من هذا وهات كتاب الله فاعلم أنه ضال.

قال الذهبي معلقًا على هذا: قلت: أنا. وإذا رأيت المتكلم المبتدع يقول: دعنا من الكتاب والأحاديث الآحاد وهات «العقل» فاعلم أنه أبو جهل، وإذا رأيت السالك التوحيدي يقول: دعنا من النقل ومن العقل وهات الذوق والوجد فاعلم أنه إبليس قد ظهر بصورة بشر، أو قد حَلَّ فيه، فإن جبنت منه فاهرب وإلا فاصرعه وابرك على صدره واقرأ عليه آية الكرسي واخنقه.

قلت: وإذا رأيت من سمع منك الحديث الصحيح في الحث على السنن والتحذير من البدع قال دعنا من هذه القشور عليك باللب، فاعلم أنه من المفلسين المفسدين للدين من حيث لا يشعرون، أو يشعرون.

روي أن أبا قلابة عطش وهو صائم فأكرمه الله لمّا دعا بأن أظلته سحابة وأمطرت على جسده فذهب عطشه.

قال أبو قلابة في صلاته: اللهم إني أسألك الطيبات وترك المنكرات وحب المساكين وأن تتوب عليَّ وإذا أردت لعبادك فتنة أن توفاني غير مفتون.

قال أيوب: كنت مع أبي قلابة في جنازة فسمعنا صوت قاص ارتفع صوته وصوت أصحابه، فقال أبو قلابة: إن كانوا ليعظمون الموت بالسكينة. قلت: يعني الصحابة، وهذه هي السنة، فقد كانوا مع رسول الله ﷺ في الجنائز كما يقول قائلهم، وكأن على رؤسنا الطير. من السكون.

قال الذهبي: وقد أخبرني عبد المؤمن شيخنا أن أبا قلابة ممن ابتلي في بدنه ودينه، أريد على القضاء فهرب إلى الشام، وقد ذهبت يداه ورجلاه وبصره وهو مع ذلك حامد شاكر.

وفاته: توفي رحمه الله سنة أربع أو خمس أو ست أو سبع ومائة.

أطفال المسلمين، كيف

الحلقة العاشرة

نواصل في هذه الحلقة الحديث عن تربية النبي ﷺ للأطفال ومراعاته الجوانب النفسية والترفيهية عندهم.

(٤٥) ويقدِّر ﷺ للصغار لعبهم:

ماذا تقول أيها المربي حينما تعلم أن الحسين بن عليٍّ وهو طفل؛ كان عنده جِرْو (كلب صغير) يتسلَّى به، وأن أبا عمير بن أبي طلحة كان عنده عصفور يلعب به، وأن عائشة رضي اللَّه عنها كان عندها لُعَب (بنات) تلعب بها؟

والجواب: أن هذا إقرار من النبي ﷺ لحاجة الطفل إلى اللعب والترفيه، والتسلية وإشباع الرغبة.

وماذا تقول يا أخي أيضًا حينما تعلم أن النبي ﷺ لما تزوج عائشة حملت معها لعبها إلى بيت النبي ﷺ لتلعب بها عنده، بل كان هو يسرِّب إليها صديقاتها لتلعب معها، ولما امتنع جبريل عليه السلام عن دخول بيت النبي ﷺ بسبب وجود كلب (جرو الحسين)، ولم يكن النبي ﷺ عالمًا بوجوده في البيت، ومع هذا لم يعنف الحسين أو يزجره أو يحرمه من لعبته، وكذلك طائر أبي عمير؛ لم يمنعه النبي ﷺ من التلهِّي به مادام أنه لا يعذبه ولا يؤذيه، ماذا تقول يا أخي حين تعلم هذا كله وأكثر منه في سلوك نبينا نحو احترام كيان الطفل؟!

والجواب: أن هذا تقرير منه ﷺ للعب الصبي؛ لأن اللعب ينمّي عقله، ويوسع مداركه، ويشغَل حواسه وأحاسيسه. وأن توفير اللعبة المفيدة له يرفع عنه الحرمان، ويعينه على بر الأبوين، ويُدخِل السرور على نفسه، ويستجيب لميوله ويرضيه، فينشأ طفلاً سويًا.

مضار منع الأطفال من اللعب

وقد نصح العلماء رحمهم اللَّه أن يُسمَح للطفل باللعب اليسير لا باللعب الشاق بعد الانتهاء من دروسه لتجديد نشاطه، بشرط ألاَّ يُتعب نفسه.

وينبغي أن يؤذن له بعد الانصراف من الكُتَّاب أن يلعب لعبًا جميلاً يستريح إليه من تعب المكتب، فإنَّ منْع الصبي من اللعب وإرهاقه بالتعليم دائمًا يميت قلبه، ويبطل ذكاءه، وينغص عليه العيش، حتى يطلب الحيلة في الخلاص منه رأسًا. كما يعوَّد الصبي في بعض النهار المشي والحركة والرياضة، حتى لا يغلب عليه الكسل.

إن اللعب للأطفال كالعمل للرجال، والطفل الصحيح الجسم لا يستطيع أن يجلس ساكنًا خمس دقائق؛ فتراه ينقب في كل شيء تقع عليه عينه، ويقلِّبه ويضعه في فمه، وقد يفكه ليبحث عما في داخله. وقد ثبت في علم النفس أن هناك صلة كبيرة بين الجسم والعقل، فما يؤثر في الجسم يؤثر في العقل، وما يؤثر في العقل يؤثر في الجسم، ولكي يستطيع الإنسان القيام بأعباء الحياة يجب أن يكون قويًا في جسمه، سليمًا في عقله.

(٤٦) ولا يفرق ﷺ جماعتهم وهم يلعبون:

يحدث أحيانًا أن يمر البعض منا على الصبيان وهم يلعبون فيقول لهم: أمَا عندكم شغل؟ أو: ما لكم بيوت تؤويكم؟ إلخ.. خاصةً إذا لم يعجبه شيء من لعبهم، لكنَّ رسولنا محمدًا ﷺ لم يكن كذلك قَط ، فكيف كان إذن؟

يقول أنس رضي الله عنه: خدمتُ رسول اللَّه ﷺ يومًا حتى إذا رأيت أني قد فرغت من خدمتي، قلت: يقيل(١) رسول اللَّه ﷺ، فخرجت إلى صبيان

رباهم النبي الأمين ﷺ ؟

إعداد: جمال عبد الرحمن

يلعبون، فجئت أنظر إلى لعبهم، فجاء رسول الله ﷺ فسلم على الصبيان وهم يلعبون، فدعاني فبعثني إلى حاجة له، فذهبت فيها وجلس ﷺ في فيء (ظل) حتى أتيته ... الحديث(٢).

وفي رواية: أتاني رسول الله ﷺ ذات يوم وأنا ألعب مع الغلمان- أو قال: مع الصبيان - فسلم علينا، ودعاني، فأرسلني في حاجة، فلما رجعت، قال: «لا تخبر أحدًا». واحتبست على أمي، فلما أتيتها قالت: يا بني، ما حبسك؟ قلت: أرسلني رسول الله ﷺ في حاجة له ... الحديث(٣).

وهنا فائدة: أن الأم ينبغي أن تتفقد أحوال ابنها، فإذا تأخر عن مواعيده سألته أين ذهب وماذا صنع ...؟ إلخ.

والنبي ﷺ يراعي ظروف الطفل وتلبية رغباته النفسية بعيدًا عن الكبت الذي يُولد الانفجار، فسلَّم أولاً على الصبيان، وهذا تقدير منه لهم، وتعويد على إلقاء السلام وإفشائه، ثم جلس في الظل عندهم ينتظر أنسًا، وكلما رأوه وهو يتابعهم وينظر إليهم ويعجب ببهجتهم وحركتهم؛ فيزدادون فرحًا وسرورًا، فينشأون على حبه، وهذا الذي يريد أن يغرسه فيهم ﷺ.

(٤٧) وينهى ﷺ عن التفريق بينهم وبين أهليهم:

عن أبي عبد الرحمن الحُبُلِي أن أيوب كان في جيش فَفُرِّق بين الصبيان وبين أمهاتهم، فرآهم يبكون، فجعل يرد الصبي إلى أمه ويقول: إن رسول الله ﷺ قال: «من فرَّق بين الوالدة وولدها فرَّق الله بينه وبين الأحباء يوم القيامة»(٤).

وفي رواية ابن ماجه (٢٢٤١) كتاب التجارات عن أبي موسى قال: لعن رسول الله ﷺ من فرَّق بين الوالدة وولدها وبين الأخ وأخيه. بل إن النبي ﷺ يمنع الجلوس بين الطفل وأبيه في المجالس، وهذا لا شك أدب هام وعظيم من آداب مجالس الأطفال مع الكبار؛ لأن أهل الطفل هم أعرف الناس بميوله وعاداته، وإيجابياته وسلبياته، وخطئه وصوابه، وهم أقدر على توجيهه وإرشاده، كما أن الطفل إذا فرِّق بينه وبين أبيه في المجلس فإنه يشعر بالخجل والحرج ويظل شاردًا بذهنه، منتظرًا متى ينتهي هذا المجلس، فلا يستفيد من جلسته مع الكبار شيئًا، لذلك رحم الرسول ﷺ شعور الطفل ونفسيته من تلك المعاناة، فقال: «لا يجلس الرجل بين الرجل وابنه في المجلس»(٥).

الهوامش

(١) يعني: يرتاح وقت القيلولة.

(٢) إسناده صحيح. أحمد ح ١٢٩٥٦ تحقيق حمزة الزين.

(٣) مسند أحمد ١٢٧٢٠، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٤) (صحيح). أخرجه الترمذي، وقال: حديث حسن، قال الزرعي في حاشية ابن القيم ج ٧ ص ٢٥٩: قال ابن القيم: وفي صحيح الحاكم من حديث عبادة بن الصامت قال: نهى رسول الله ﷺ أن يفرق بين الأم وولدها، فقيل: يا رسول الله، إلى متى؟ قال: «حتى يبلغ الغلام وتحيض الجارية» .وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه. وانظر صحيح الجامع ح ٦٤١٢ .

(٥) الطبراني في الأوسط ج ٤، ح ٤٤٢٩، والمناوي في فيض القدير ج ٦، ص ٤٤٦، ومجمع الزوائد ج ٨ ص ٦١, ونظيره الحديث الحسن الصحيح عن عبد الله بن عمرو، أن رسول الله ﷺ قال: «لا يحل للرجل أن يفرق بين اثنين إلا بإذنهما». صحيح سنن الترمذي للألباني ح ٢٧٥٢ .

مضار الابتداع

بقلم: فضيلة الشيخ علي محفوظ، رحمه الله

استثقال الإنسان للتكاليف وتطلبه الراحة منها بأدائها!!

من البدع القبيحة العامة استثقال الإنسان للتكاليف وتطلبه الراحة منها بأدائها، أو انتظاره في الصوم للغروب مع الضجر، ومن ذلك ما تسمعه كثيرًا من العامة، بل والخاصة، يقول بعضهم إذا حان وقت الصلاة: قم بنا نصلي لنستريح منها، وربما زاد على ذلك قوله: فإنها على الإنسان كالجبل.

فانظر رعاك الله إلى الفرق بين الحالين، كان النبي ﷺ يجد فيها راحته ويقول: «جعلت قرة عيني في الصلاة». [رواه الطبراني عن المغيرة. «صحيح الجامع» (٣٠٩٨)].

وكان أصحابه السلف الصالح رضوان الله عليهم يستريحون بالصلاة ويشتغلون بها عن غيرها مما ليس في منزلتها، ونحن نطلب الإراحة منها لثقلها علينا، وصدق الله العظيم: ﴿وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ﴾.

أخرج الطحاوي عن عبد الله بن محمد بن الحنفية قال: دخلت مع أبي على صهر لنا من الأنصار، فحضرت الصلاة، فقال: يا جارية ائتيني بوضوء لعلي أتوضأ فأستريح، فكأنه رآنا أنكرنا ذلك، فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «يا بلال، أقم الصلاة أرحنا بها». [رواه أبو داود. «صحيح الجامع» (٧٨٩٢)].

فبين الأنصاري أنه يريد أن يستريح بالصلاة لا منها كما توهم السامعون، فأنكروا عليه ذلك، ومنه يؤخذ أن معتاد السلف رضي الله عنهم الاطمئنان للصلاة والارتياح بها لا كراهتها واستثقالها، وفوق ذلك كان النبي ﷺ إذا حزبه أمر فزع إلى الصلاة كما أرشده إلى ذلك مولاه، فقال: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ﴾ من كلمات الشرك والطعن في القرآن والاستهزاء به وبك، ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ (٩٨) وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّى يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾.

والسر في ذلك أن الإنسان إذا اشتغل بهذه الأنواع من العبادات انكشفت له أضواء عالم الربوبية، ومتى حصل ذلك الانكشاف صارت الدنيا بالكلية حقيرة، وإذا صارت حقيرة هان على القلب أمرها واستوى لديه فقدانها ووجدانها فلا يستوحش من فقدانها ولا يستريح بوجدانها، وعند ذلك يزول الحزن والغم، رزقنا الله التمسك بكتابه والعمل بسنة نبيه ﷺ.

ومن البدع السيئة العامة تهاون الخاصة من العلماء وطلاب العلم في أمر السنن والمندوبات كالصلاة أول الوقت، وحضور الجماعات في المساجد، والحرص على الصف الأول، وتسوية الصفوف، وأداء الرواتب، وصلاة الضحى والخسوف والكسوف، وكثيرًا ما تقام الجماعات بين يدي طلاب العلم وهم عنها معرضون ويصلون في آخر الوقت فرادى، وناهيك ما يكون منهم من التشويش على الجماعات بالمذاكرة.

وكثيرًا ما يقع الخسوف والكسوف على مرأى ومسمع من العلماء ورجال الدين ولا يبدون أدنى اهتمام بأمر الصلاة والدعاء لا جماعة ولا فرادى كأنهم في أمن من هذه الأفزاع والمخاوف التي يخوف الله بها عباده وكأنهم زعموا في أنفسهم أن لهم مكانة عند الله ومقامًا رفيعًا لا يؤثر فيه إهمال ما يأمرون به الناس، ولم يعلموا أن إضاعة السنة من علائم إهمال الفريضة، وأن ترك السنن مدعاة للوقوع في البدعة، يقول بعض السلف: «لم يضيع أحد فريضة من الفرائض إلا ابتلاه الله بتضييع السنن ولم يبل أحد بتضييع السنن إلا أوشك أن يبتلى بالبدعة». اهـ.

ومن البدع السيئة ترك التعاون على البر والتقوى، والنصيحة للمسلمين والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومن آثار هذه البدعة ترك الخلفاء والأمراء والحكام ومياسير المسلمين المواظبة على الجماعات في المساجد حتى استنكفوا عن أن يؤموا الناس في صلاتهم وأن يخطبوا لهم في الجمعة وغيرها، وكان هذا من دواعي تكاسل العامة في الدين، ومن أسباب دخول الوهن فيه، فإن لعظة أولياء الأمور للناس تأثيرًا عظيمًا والنفوس مجبولة على محبة الاقتداء بالكبراء، والعامة إذا رأت أولياء الأمور والعظماء تواظب على العبادة هانت عليهم مشاق العبادة، وخطر لهم أنهم أحوج إلى المجازاة عوضًا عما فاتهم من حظوظ الدنيا.

وأيضًا من بواعث امتثال الأمر والنهي صدورهما على لسان ولاة الأمور وأولي البأس لما لهم من الهيبة في نفوس الأمة، وورد «إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزعه بالقرآن»، والناس على دين

ملوكهم، وكما قيل: «اثنان إذا صلحا صلح الناس وإذا فسدا فسد الناس: العلماء والأمراء». ومنزلة الأمير من الرعية بمنزلة الروح من الجسد، فإذا صفت الروح من الكدر سرت إلى الجوارح سليمة وسرت في جميع أجزاء الجسد، فأمن الجسد من الكدر فاستقامت الجوارح والحواس وانتظم أمر الجسد، وإن تكدرت الروح أو فسد مزاجها فياويح الجسد، فتسري إلى الحواس والجوارح كدرة وهي منحرفة عن الاعتدال فأخذ كل عضو وحاسة بقسطه من الفساد، فمرضت الجوارح وتعطلت فتعطل نظام الجسد وجر إلى الفساد والهلاك، وقد واظب ﷺ على إمامة الناس والخطبة لهم في الصلاة وغيرها، وكذا خلفاؤه وكثير من الأمراء بعدهم.

ثم حدثت بدع كتأخير بعضهم الصلاة عن وقتها كما في حديث خيثمة عن عبد الله رضي الله عنه مرفوعًا: «سيكون من بعدي أمراء يؤخرون الصلاة عن مواقيتها فيحدثون البدعة». [«صحيح ابن ماجه» (١٠٣٩، ١٠٦٤)]. قال عبد الله بن مسعود: فكيف أصنع إذا أدركتهم؟ قال: «تسألني يا ابن أم عبد، كيف تصنع؟ لا طاعة لمن عصى الله» [«صحيح الجامع» (٣٦٦٤)] أي في معصيته لا مطلقًا لوجوب إطاعة الأمراء، وإن عصوا فيما ليس بمعصية، وأن هذا من تساهلهم وتشاغلهم بمصالح الرعية عن مراسم الدين فهي معصية ارتكبوها مع علمهم بتحريمها، وسماه بدعة محدثة لفعلهم إياها بحيث يقتدى بهم فيه كما هو الشأن في الأمر، وفي سنن أبي داود من حديث عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «إنها ستكون عليكم بعدي أمراء تشغلهم أشياء عن الصلاة لوقتها حتى يذهب وقتها، فصلوا الصلاة لوقتها». فقال رجل: يا رسول الله، أصلي معهم. قال: «نعم، إن شئت». [«صحيح الجامع» (٤٥٨٨)]. أباح له الصلاة معهم، لكن بعد أن يكون قد أداها في وقتها.

وعن ابن مسعود في بعض الروايات فما تأمرني إذا أدركني ذلك يا رسول الله؟ قال: «صلّ الصلاة لميقاتها، واجعل صلاتك معهم سُبحة». [«صحيح ابن ماجه» (١٠٣٩، ١٠٦٤)] وهي بضم السين وسكون الموحدة وحاء مهملة الصلاة النافلة لأنها نفل كالتسبيحات.

التهاون بأمور الدين!!

ومن البدع المذمومة التهاون بأمور الدين، حتى أصبح الوسط مختلاً والمدرسة الاجتماعية اليوم تعلم النشء فنون الفساد، وضروب الضلال: «ومن شب على شيء شاب عليه»، فاستعصى الداء على المرشدين، ولم يفلحوا في تقويم المعوج من أخلاق الأمة وتطهيرها من درن الرذائل حتى استولى عليهم اليأس من الإصلاح فأهملوا نصح الأمة وتعليمها أمر دينها وانضم إلى ذلك تلك البدعة المشئومة «بدعة حرية الأديان»(١) فكانت من أكبر معاول الهدم لبناء هذا الدين الحنيف فساء الحال وصار كل إنسان يرى كل مفعول جائزًا لا أدب يمنعه ولا دين يردعه، وتمكن أعداء الدين من تضليل العامة بإغوائهم بكل ما يستهوي قلوب البسطاء، فوضعوا لهم الشباك وأحكموها، والناس من كل حدب تنسل إليها، وهم يعلمون أنها ما نصبت إلا لاغتيالهم، ولكن عدم المبالاة بالدين جعلهم كالأنعام، بل هم أضل- فتصادف منهم قلوبًا خالية من تعاليم الإسلام فتهوي إلى وبال يدوم وضلال لا هداية بعده، كل هذا وخاصة المسلمين يجعلون أصابعهم في آذانهم حذر أن يسمعوا أنين الإسلام فلا يأخذون بحجز العامة وهم يتهافتون على ذلك تهافت الفراش على النار.

وصفوة القول: من أراد في هذا الزمن أن يستقيم على الطريق القويم يجد نفسه غريبًا بين أهل الوقت لكثرة ما أحدثوا، وما غلب على السنن الأصلية من البدع، وهذا الابتداع قديم طال عليه الأمد حتى تأصل في نفوس الناس لا يعالجه إلا الأطباء الماهرون. فعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: لو خرج رسول الله ﷺ عليكم ما عرف شيئًا مما كان عليه هو وأصحابه إلا الصلاة. قال الأوزاعي، فكيف لو كان اليوم!!

ونحن نقول: لو خرج عليه الصلاة والسلام في زماننا هذا ما عرف شيئًا حتى الصلاة!!

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ما أعرف منكم ما كنت أعهده على عهد رسول الله ﷺ غير قولكم: «لا إله إلا الله». قلنا: بلى يا أبا حمزة، قال: قد صليتم حتى تغرب الشمس، أفكانت تلك صلاة رسول الله ﷺ؟ فالسعيد من تحلى بحلية السلف ودواعي الفساد تجذبه من كل جانب، والله الهادي إلى سواء السبيل.

هامش

(١) يقصد الشيخ بذلك ما أُعلن آنذاك من أن الإنسان حر في دينه يتركه متى شاء، ويفعل ما يشاء.

•• تنويه ••

نُشر في العدد الماضي [عدد رمضان] في مقال الشيخ علي محفوظ حديثان حول إحياء ليلتي العيدين ، والحديثان :

الأول منهما: «من أحيا ليلة الفطر وليلة الأضحى لم يمت قلبه يوم تموت القلوب». وهو موضوع .

والثاني منهما : «من قام ليلتي العيد محتسبًا لم يمت قلبه يوم تموت القلوب». وهو ضعيف.

اللجنة العلمية

«ذم الكلام وأهله»

لأبي إسماعيل الهروي

إعداد / علاء خضر

المؤلف: الإمام الحافظ شيخ الإسلام عبد الله بن محمد بن علي بن جعفر المعروف بأبي إسماعيل الهروي.

مولده: سنة ٣٩٦هـ بخراسان.

كان رحمه الله إمامًا في التفسير ومحدثًا ومُسندًا كبيرًا.

قال عنه الذهبي رحمه الله: «كان سيفًا مسلولا على المخالفين، وَجِذْعًا في أعين المتكلمين، وطودًا في السنة لا يتزلزل». وقال عنه أيضًا عندما زعم قوم من الاتحادية أنه منهم: كلا، بل هو رجل أثرى لهج بإثبات نصوص الصفات منافر للكلام وأهله جدًا».

وفاته: في عام ٤٨١هـ.

موضوع الكتاب

ذم الكلام وأهله وبيان فساده بالكتاب والسنة وأقوال الصحابة والتابعين.

قيمة الكتاب

من أهم الكتب المصنفة في العقيدة، وقد بين فيه موقف السلف من علم الكلام وأهله.

ولأهمية الكتاب أكثر أهل العلم النقل منه والثناء عليه مثل شيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم، وقال عنه السيوطي رحمه الله «اعلم أن أئمة أهل السنة مازالوا يصنفون الكتب في ذم علم الكلام والإنكار على متعاطيه، وأجل كتاب ألف في ذلك كتاب «ذم الكلام وأهله» لشيخ الإسلام أبي إسماعيل الهروي.

وقد اختصره السيوطي ونقاه في كتاب أسماه «صون المنطق والكلام».

أهم طبعات الكتاب

طبعة خمسة مجلدات بتحقيق ودراسة أبي جابر عبد الله الأنصاري.

أهم مسائل الكتاب

بدأ المؤلف رحمه الله بمقدمة صغيرة ذكر فيها الأحاديث التي فيها حمد الله والثناء عليه سبحانه وتعالى، وأن الدين قد كمل ومن أتى بمحدث فهو مردود عليه وأن الأعمال بالنيات، ثم بدأ في تبويب الأبواب، ففي الباب الأول وتحت عنوان «البيان أن الأمم السالفة إنما استقاموا على الطريقة ما اعتصموا بالتسليم والاتباع وأنهم لما تكلفوا وخاصموا ضلوا وهلكوا» ثم ذكر أحاديث وآثار الباب، ومنها:

حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «دعوني ما تركتكم، فإنما هلك من كان قبلكم بسؤالهم واختلافهم على أنبيائهم، فإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم».

وحديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: «هجرت[٢] إلى رسول الله ﷺ فسمع رجلين اختلفا في آية ارتفعت أصواتهما، فخرج يعرف الغضب في وجهه، قال: فقال «إنما هلك من كان قبلكم بالاختلاف في الكتاب».

وفي باب آخر وتحت عنوان «ذكر شدة ما كان رسول الله ﷺ يخاف على هذه الأمة من الأئمة المضلين والمجادلين في الدين وخطباء المنافقين».

ذكر أحاديث وآثار الباب منها حديث عمر بن

الخطاب رضي الله عنه قال: قال ﷺ: «إنما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم يتكلم بالحكمة ويعمل بالفجور».

وقال يزيد «إني لجالس تحت منبر عمر بن الخطاب رضي الله عنه وهو يخطب الناس فقال في خطبته: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن أخوف ما أخاف على هذه الأمة كل منافق عليم اللسان».

وفي أثر لعمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: «إن أخوفُ ما أخافُ عليكم: تغيرَ الزمان وزيغةَ عالم، وجدالَ منافق بالقرآن، وأئمةً مضلين يضلون الناس بغير علم».

وتحت بابُ إقامة الدليل على بطلان قول من زعم أن القرآن يستغنى به عن السنة» ذكر أحاديث وآثارًا منها حديث زيد بن الحباب قال، سمعت رسول الله ﷺ: «حرّم أشياء حتى ذكر الحمر الأنسيه، ثم قال: «يوشك الرجل يتكىء على أريكته يحدّثُ بحديث من حديثي، فيقول: بيننا وبينكم كتاب الله، فما وجدنا فيه من حلال استحللناه وما وجدنا فيه من حرام حرمناه، وإنَّ ما حرم رسول الله ﷺ مثل ما حرم الله.

وفي أثر عن أيوب السختياني أنه قال «إذا حدّثت الرجل بالسنة، فقال دعنا من هذا، حسبنا القرآن فاعلم أنه ضال.

وعن مكحول قال: القرآن إلى السنة أحوج من السنة إلى القرآن.

وعن ابن عطية قال: كان جبريل عليه السلام ينزل بالقرآن والسنة.

وقال المعتمر بن سليمان سمعت أبي يقول: «أحاديث النبي ﷺ عندنا كالتنزيل.

وعن عمران بن حصين «أنهم كانوا يتذاكرون الحديث فقال رجل: دعونا من هذا وجيؤونا بكتاب الله؛ فقال عمران: إنك أحمق، أتجد في كتاب الله الصلاة مفسرة؟ أتجد في كتاب الله، الصوم مفسرًا؟ إن هذا القرآن أحكم ذلك والسنة تفسر ذلك».

وفي باب التغليظ في معارضة الحديث بالرأي ذكر أحاديث وآثارًا منها أثر عن ابن عباس رضي الله عنهما قال:

«إياكم والرأي: فإن الله رد على الملائكة الرأي، قال: «إني أعلم ما لا تعلمون» وقال لنبيه ﷺ: «وأن احكم بينهم بما أنزل الله» ولم يقل بما رأيت.

وعن إسحاق بن خزيمة قال: «قلت لأحمد بن نصر وحدث بخبر عن النبي ﷺ - أتأخذ به؛ فقال: أترى على وسطى زنارًا(٢)؛ لا تقل لخبر النبي ﷺ أتأخذ به وقل: أصحيح هو ذا؟ فإذا صح الخبر عن النبي ﷺ قلت به شئت أم أبيت» وقال ابن المبارك: ليكن الذي تعتمد عليه الأثر، وخذ من الرأي ما يفسر لك الحديث» وسأل نعيم ابن حماد ابن المبارك عن الحديثين المثبتين - يجيئان عن النبي ﷺ يُحِل أحدهما ويحرم الآخر؛ قال: أومن بهما وأسلم لهما وأختار.

قال نعيم: يعني وأختار من إجماع الصحابة رضي الله عنهم مع أحد قولي النبي ﷺ وإذا لم أعرف الأول منهما.

وتحت باب ذكر إنكار أئمة الإسلام ما أحدثه المتكلمون في الدين من الأغاليط وصعاب الكلام والشبه والمجادلة وزيغ التأويل والمهازلة وآرائهم فيهم قال:

عن سليمان بن يسار «أن رجلا يقال له صبيغ قدم المدينة فجعل يسأل عن متشابه القرآن فأرسل إليه عمر وقد أعدّ له عراجين النخل، فقال: من أنت قال أنا عبد الله صبيغ فأخذ عرجونًا فضربه حتى دمى رأسه: فقال يا أمير المؤمنين حسبك قد ذهب الذي كنت أجده في رأسي»

وفي أثر عن ابن عيينة قال: «سمعت هشام بن حجير يقول لي وسألته عن شيء: تريد أن أُعلّمك المراء؟ إذا قالوا لك: لا، فقل: نعم، وإذا قالوا لك: نعم، فقل لا».

وقد سئل سفيان عن الكلام فقال دع الباطل، أين أنت عن الحق؟ اتبع السنة ودع الباطل.

وعن مالك ابن أنس قال: «إياكم والبدع. قيل يا أبا عبد الله: وما البدع؟ قال: أهل البدع الذين يتكلمون في أسماء الله وصفاته وكلامه وعلمه

وقدرته ولا يسكتون عما سكت عنه الصحابة والتابعون لهم بإحسان».

وعن نوح الجامع قال: «قلت لأبي حنيفة: ما تقول فيما أحدث الناس من الكلام في الأعراض والأجسام؟ فقال: مقالات الفلاسفة، عليك بالأثر وطريقة السلف وإياك وكل محدثة فإنها بدعة.

وعن عثمان بن سعيد الدارمي كان يقول «لا نكيف هذه الصفات، ولا نكذب بها، ولا نفسرها» وعن عبد الرحمن بن أبي حاتم قال: «كان أبي وأبو زرعة ينهيان عن مجالسة أهل الكلام والنظر في كتب المتكلمين، ويقولان: لا يفلح صاحب الكلام ابدأ ويهجران أهل الزيغ والبدع ويغلظان فيهم أشد التغليظ، وينكران وضع الكتب بالرأي بغير آثار. ويامران بهجرانهم.

وفي باب (كراهية أخذ العلم عن المتكلمين وأهل البدع) أتى بأحاديث وآثار الباب منها:

أثر عن مالك بن أنس قال: «إن هذا العلم دين، فانظروا عمّن تأخذون دينكم فقد أدركت سبعين. وأشار بيديه إلى مسجد رسول الله - ﷺ - يقول: قال فلان قال رسول الله عليه وسلم فلم أخذ عنهم شيئًا، ولو أن أحدهم ائتمن على بيت مال لكان به أمينًا، وكان يقدم علينا ابن شهاب الزهري فنزدحم على بابه.

وفي حديث رسول الله ﷺ أنه قال: «إن من أشراط الساعة ثلاثًا، واحدهن أن يلتمس العلم عندالأصاغر».

قال ابن المبارك: «الأصاغر أهل البدع».

وعن ابن مسعود قال: لا يزال الناس بخير ما أتاهم العلم من قبل أصحاب محمد ﷺ - رضي الله عنهم وأكابرهم، فإذا أتاهم من قبل أصاغرهم فذاك حين هلكوا.

وقال أيضًا رضي الله عنه: «العلم في كبرائكم ولن تزالوا بخير ما كان كذلك، فإذا قال الصغير للكبير: ما يدريك فهناك هناك».

وتحت باب (تعظيم إثم من سن سنة سيئة أو دعا إليها)، وأتى بأحاديث وآثار الباب منها حديث أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «...ومن دعا إلى ضلالة فعليه من الإثم مثل آثام من تبعه، لا ينقص من آثامهم شيئًا».

ثم تكلم رحمه الله عن رؤوس أهل البدع وبدعتهم كمعبد الجهني وهو أول من تكلم في القدر وقد تبرأ منه عبد الله بن عمر رضي الله عنه.

وابن غيلان الدمشقي الذي استتابه عمر بن عبد العزيز ثم ظهر منه تكذيب التوبة فصلب على باب الشام.

وعمرو بن عبيد المعتزلي رأس المعتزلة الأول وكيف أن الله فضحه وهتك ستره على يد أبي بكر أيوب السختياني.

وفتنة سب السلف أو سب الصحابة فقيض الله عز وجل لها إمامًا وهو أبو محمد عبد الله الأودي فصرح بقدحهم ودفع في نحرهم ونادى على خباياهم وأورى عن خفاياهم.

وفتنة إنكار الكلام لله عز وجل فأول من زرعها جعد بن درهم ثم أخذها عنه جهم بن صفوان فبسطه وطراه ودعا إليه.

فأما الجعد بن درهم فضحى به خالد بن عبد الله القسري على رؤوس الخلائق وأما الجهم فضرب عنقه سلم بن أجوز.

فهذه قصة فتنة أهل المشرق بها بسطت ومهدت ثم سارت في البلاد فقام بها ابن أبي داود وبشر بن غياث المريسي ملأ الدنيا محنة والقلوب فتنة دهرًا طويلا فسلط الله عليهم علمًا من أعلام الدين أوتى صبرًا في قوة اليقين. أبا عبد الله أحمد بن حنبل ثم ختم رحمه الله كتابه بفصل «ومن المهلكات على لسان المصطفى إعجاب كل ذي رأي برأيه وهوى متبع وأتى بأحاديث وآثار الباب».

أسأل الله أن ينفعنا بما علمنا ويذكرنا بما نسينا.

هامش

(١) أي بكرت، والتهجير: التبكير إلى كل شيء.

(٢) حزام يضعه النصراني على وسطه.

أسئلة القراء

يجيب عنها أبو إسحاق الحويني

■ يسأل القارئ: ع ل م - أسوان عن صحة هذا الحديث: «دخل رسول الله ﷺ المسجد فمرَّ بمجلسين، أحدهما يقرءون القرآن ويدعون الله والآخر: يتعلمون ويعلِّمون، فقال النبي ﷺ: «كلٌّ على خير، هؤلاء يقرءون القرآن ويدعون الله، فإن شاء أعطاهم وإن شاء منعهم، وهؤلاء يتعلمون ويعلِّمون، وإنما بعثت مُعلِّمًا» فجلس معهم.

والجواب بحول الملك الوهاب: أنه حديث ضعيف، أخرجه ابنُ ماجة (٢٢٩) قال: حدثنا بشر بن هلال الصوَّافُ، ثنا داود بن الزبرقان، عن بكر بن خنيس، عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الله بن يزيد، عن عبد الله بن عمرو فذكره. وسنده ضعيفٌ جدًا. وداود بن الزبرقان متروك. وبكر بن خنيس ضعيف ولكن تابعه أبو يوسف القاضي فرواه عن عبد الرحمن بن زياد بهذا الإسناد. أخرجه الخطيبُ في «الفقيه والمتفقه» (٣٤).

قُلْتُ: هكذا رواه بكر بن خنيس وأبو يوسف القاضي عن عبد الرحمن بن زياد. وخالفهما جماعةٌ من الثقات، فرووه عن عبد الرحمن بن زياد، عن عبد الرحمن بن رافع، عن عبد الله بن عمرو فذكره. أخرجه الدارميُّ (٣٦١)، والطبرانيُّ في «معجمه» ومن طريقه الشجري في «الأمالي» (٤٣/١) عن عبد الله بن يزيد المقرئ. والطيالسيُّ في «مسنده» (٢٢٥١)، والخطيبُ في «الفقيه والمتفقه» (٣١،٣٢،٣٣) عن ابن المبارك، وهو في «الزهد» (١٣٨٨). وابنُ عبد البر في «جامع العلم» (٢٤٢) عن ابن وهب. والطبرانيُّ ومن طريقه الشجري (٤٣/١) عن زهير بن معاوية قال أربعتهم: ثنا عبد الرحمن بن زياد بهنا. وذكر الخطيب في «الفقيه» (٩٠/١) أن جعفر بن عون رواه أيضًا عن عبد الرحمن بن زياد الأفريقي. فهؤلاء خمسة من الثقات خالفوا بكر بن خنيس وأبا يوسف القاضي وروايتهم أولى. ولكن الإسناد ضعيف على أيِّ حال لضعف الإفريقي وعبد الرحمن بن رافع. وضعفه العراقي في «تخريج أحاديث الإحياء» (١١/١). والله أعلم.

■ ويسأل القارئ: أحمد محمد محمود - دوران شبرا - القاهرة عن درجة هذا الحديث: «الأرواح جنود مجندة ما تعارف منها ائتلف، وما تناكر منها اختلف».

والجواب بحول الملك الوهاب أنه حديثٌ صحيحٌ.

أخرجه مسلم في «البر والصلة» (١٥٩/٢٦٣٨) عن عبد العزيز بن محمد الدراورديّ والبخاريُّ في «الأدب المفرد» (٩٠١) عن سليمان بن بلال، وأحمد (٥٢٧،٢٩٥/٢) وابنُ حبان (٦١٦٨) عن حماد بن سلمة. وأبو الشيخ في «الأمثال» (١٠٢)، وابنُ جميع في «المعجم» (ص٣٤٧)، والخطيبُ (٣٢٩/٣) عن شعبة وابنُ نجيد في «أحاديثه» (ق١/٥)، وابنُ المقرئ في «معجمه» (٦٦٣) عن روح بن القاسم. وأبو نعيم في «أخبار أصبهان» (٩٤/٢) عن محمد ابن جعفر وسليمان بن بلال كلهم عن سهيل بن أبي صالح، عن أبيه، عن أبي هريرة مرفوعًا وتابعهم موسى بن يعقوب الزمعي فرواه عن سهيل بن أبي صالح بهذا الإسناد بلفظ: «الأرواح جنودٌ مجندةٌ تطوف بالليل... الحديث».

أخرجه أبو الشيخ في «الأمثال» (١٠٩)، والخطيبُ (٣٥٢/٤). وهو حديث منكر بزيادة: «تطوف بالليل». والزمعي ضعيفٌ.

وأخرجه مسلم (١٦٠/٢٦٣٨)، وأبو داود (٤٨٣٤)، وأحمد (٥٣٩/٢)، والحميدي (١٠٤٦) من طريق يزيد بن الأصم عن أبي هريرة مع زيادةٍ في متنه. وأخرجه ابنُ حبان في «المجروحين» (٩٧/٢) بسندٍ واهٍ عن ابن سيرين عن أبي هريرة مرفوعًا.

وفي الباب عن عائشة مرفوعًا مثله. أخرجه البخاريّ في «الأنبياء» (٣٦٩/٦) معلقًا ووصله في «الأدب المفرد» (٩٠٠)، وابنُ الأعرابي في «المعجم» (٢٢٩) والبيهقي في «الشعب» (٩٠٣٩) عن عبد الله بن صالح كاتب الليث، عن الليث بن سعد، عن يحيى بن سعيد الأنصاري، عن عمرة بنت عبد الرحمن، عن عائشة مرفوعًا.

وأخرجه أبو يعلي (٤٣٨١) وعنه أبو الشيخ في «الأمثال» (١٠٠)، وابنُ عدي في «الكامل» (٢٦٧١/٧) قال: حدثنا يحيى بن معين حدثنا سعيد بن الحكم بن أبي مريم، ثنا يحيى بن أيوب، عن يحيى بن سعيد الأنصاري بهذا الإسناد وأخرجه البيهقيُّ في «الشعب» (٩٠٣٧) عن إبراهيم بن الحسين، قال: نا سعيد بن أبي مريم بهذا الإسناد.

وله طريق آخر عن عائشة. أخرجه ابنُ عدي في «الكامل» (٢٢٩٩/٦) قال: حدثنا محمد بن أحمد بن عيسى أبو الطيب، ثنا ابن أخي ابن وهب، ثنا عمي، عن يونس بن يزيد، عن الزهري، عن أبيه، عن عائشة مرفوعًا مثله.

وشيخ ابن عدي كان يضع الحديث. وقد سرق هذا الحديث وألزقه على ابن أخي ابن وهب. قال ابنُ عدي: وهذا حديث عبد الله بن هلال الأزدي المصري عن ابن وهب». ثم رواه من وجهين عنه، عن ابن وهب.

وقد رواه أيضًا ابنُ المقرئ في «المعجم» (٤١٢) قال: حدثنا أحمد بن محمد بن هلال أبو جعفر المقرئ بمصر، حدثني أبي، حدثنا ابن وهبٍ بسنده سواء.

قال ابن المقرئ: «هذا حديث محمد بن هلال وهو أحد ثقات المصريين».

وفي الباب عن جماعةٍ من الصحابة كابن مسعود، وابن عمر، وسلمان الفارسي وابن عباس تجدها عند أبي الشيخ في «الأمثال» (١٠١،١٠٢،١٠٣،١٠٤،١٠٥،١٠٦،١٠٧،١٠٨) وابن عدي (٤٤٧/٢) و(٢١٨٨/٦) وأبو نعيم في «الحلية» (٢٠٣/٧) والطبراني في «الكبير» (٦١٦٩)، وفي «الأوسط» (١٥٧٧)، والبيهقيُّ في «الشعب» (٩٠٣٨) وابنُ عساكر في «تاريخ دمشق» (٤١٦/٥ و ١٠٠/ ١٣ و ٤٣٧/٢١ و١٧٧/٥٠ و٣٧٤/٥٣).

■ ويسأل الأخ: سمير بن عبد العزيز - رئيس فرع أنصار السنة - طنبشا - منوفيه عن حديثٍ رواه أحمد عن طارق بن عبد الله المحاربي مرفوعًا: «إذا صليت فلا تبصق عن يمينك، ولا بين يديك، وابصق خلفك، وعن شمالك، إن كان فارغًا، وإلا فهكذا - وذلك تحت قدميه». ولم يقل وكيع ولا عبد الرزاق: «وابصق خلفك» وسؤالي: ما تفسير قول أحمد: «ولم يقل وكيع... إلخ» وما فقهُ هذه الزيادة.

والجواب بحول الملك الوهاب: اعلم - أيها المسترشد - أن يحيى بن سعيد القطان روى هذا الحديث عن سفيان الثوري. عن منصور، عن ربعي بن حراش، عن طارق بن عبد الله المحاربي باللفظ السابق وفيه زيادة: «وابصق خلفك». أخرجه أحمد (٣٩٦/٦)، والنسائيُّ في «الكبرى» (٨٠٥)، وفي «المجتبى» (٥٢/٢) قال: حدثنا عبد الله بن سعيد. والترمذيُّ (٥٧١) قال: حدثنا محمد بن بشار. وابنُ خزيمة (٨٧٦) قال: حدثنا بندار وأبو موسى - هو محمد بن المثنى - والحاكمُ (٢٥٦/١) وابنُ قانع في «معجم الصحابة» (٤٤/٢) عن مسدَّد بن مسرهد قال خمستهم: ثنا يحيى بن سعيد القطان بهذا الإسناد. ولم تقع هذه الزيادة في رواية «مسدَّد» عند الحاكم. أمّا ابنُ قانع فإنه أحال على سياق حديث شعبة. ولم يذكر الترمذيُ قوله: «ولا بين يديك». وقد تفرّد يحيى القطان بهذه الزيادة عن سفيان وقد رواه أصحاب الثوري فلم يذكروها، كما نبه على ذلك الإمام أحمد عقب الحديث، فقال: إن وكيعًا وعبد الرزاق لم يروياها.

أمّا رواية وكيع فأخرجها ابنُ ماجة (١٠٢١) وقال: حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة، وهذا في «المصنف» (٣٦٤/٢). وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (١٣٢٢) قال: حدثنا محمد بن فضيل أبو جعفر البزاز - ثقة - قال: ثنا وكيع بن الجراح، ثنا يحيى القطان بهذا الإسناد دون الزيادة. وكذلك رواه عبد الرزاق: في «المصنف» (١٦٨٨)، ومن طريقه الطبرانيُّ في «الكبير» (ج٨/ رقم ٨١٦٥) عن سفيان الثوري، دون الزيادة.

وأخرجه الحاكمُ (٢٥٦/١) عن عبيد الله الأشجعيّ. والبيهقيُّ (٢٩٢/٢) عن الحسين ابن حفص كلاهما عن سفيان الثوري بهذا الإسناد دون الزيادة.

فهؤلاء أربعةٌ من أصحاب سفيان الثوري، وعلى رأسهم وكيع بن الجراح يروون الحديث دون الزيادة. وقد رواه أصحاب منصور بن المعتمر فلم يذكروها.

فأخرجه أبو داود (٢٧٨) والطبرانيُّ (٨١٦٨)، والطيالسيُّ (١٢٧٥)، ومن طريقه أبو نعيم في «معرفة الصحابة» (١٥٥٥/٣)، وابنُ قانع في «معجمه» (٤٤/٢) والطبرانيُّ في «الكبير» (٨١٦٦) عن شعبة بن الحجاج. وأحمد أيضًا (٣٩٦/٦) قال: حدثنا عبيدة بن حميدٍ. وأخرجه ابنُ خزيمة (٨٧٧) عن جرير بن عبد الحميد. والطيالسيُّ (١٢٧٥)، وأبو نعيم (١٥٥٥/٣)، وابن قانع (٤٤/٢) عن ورقاء. وأخرجه الطيالسيُّ أيضًا (١٢٧٥)، وأبو نعيم (١٥٥٥/٣) والطبرانيُّ (٨١٦٨) عن قيس بن الربيع. وأخرجه الطبرانيّ في «الأوسط» (٣٣٠٧)، وفي «الكبير» (٨١٧٠) عن غيلان بن جرير. وأخرجه الطبراني في «الكبير» (٨١٦٨، ٨١٦٩، ٨١٧١، ٨١٧٢) عن زائدة بن قدامة والأعمش ومفضل بن مهلهل وجعفر بن الحارث. وأخرج أيضًا في «المعجم الصغير» (٢٢٢) عن مالك بن مغول - كلّهم - وهم اثنا عشر راويًا - عن منصور بن المعتمر بهذا الإسناد دون الزيادة.

وقد ذكر أبو نعيم أن عبد الملك بن عمير رواه عن ربعي بن حراش عن طارق بن عبد الله المحاربي.

فقد يقال: إن يحيى القطان رئيس أصحاب الثوري، وهو من الثقات الأثبات فلا مانع من قبول زيادته، ولكن يلوح لي شذوذ هذه الزيادة للأدلة التي ذكرتُها مع اعترافنا بمكان يحيى القطان من الحفظ وخصوصًا في سفيان الثوري.

والعلمُ عند الله تعالى.

الفتاوى

من شروط التوبة رد المظالم لأهلها

تسأل: أ.. الشرقية:

أنا امرأة أؤدي الكثير من العبادات، لكن يدي تمتد بالسرقة حتى ولو كان معي من المال ما يكفيني، حاولت جاهدة أن أمنع نفسي عن هذه العادة السيئة، ولكني لم أستطع، ماذا أفعل؟ أهو مرض نفسي؟ أم ضعف إيمان؟ أريد خطوات محددة لكي أبتعد عن هذا الطريق الخاطئ.

الجواب: السائلة الكريمة: أحب أولاً قبل الإجابة عن هذا السؤال أن أدعو الله الكريم أن يعينك على هذا البلاء الذي وقعت فيه، وعليك بكثرة الدعاء، خاصة في جوف الليل، فإن الله يجيب الدعاء ويحقق الرجاء.

ثم أقول لكِ: اعلمي أن الله لم يكلف العباد إلا بما يطيقون، سواء كان أمرًا أم نهيًا، فأنت مكلفة أولاً بالأكل من حلال، ومنهية عن أخذ المال الذي لا يحل لك، ولو كان من أقرب الناس لك: زوج، أو والد، أو ولد، فلا تأخذي إلا بالحق الذي شرعه الله تعالى، واعلمي أن العقوبة الدنيوية إن أفلتِ منها، فإن العقوبة الأخروية أشد وأنكى، والواجب عليكِ التوبة العاجلة، وإن التوبة لها شروط: أولاً الإقلاع عن الذنب ثم الندم على الذنب الذي فرط، ثم العزم على عدم العودة إليه، وإن من شروط التوبة النصوح رد المظالم إلى أصحابها، فلا بد من ردها في الدنيا تحقيقًا لصدق التوبة إلى الله تعالى، وأن تطلبي المسامحة ممن ظلمتِهم حال ردها؛ لأنك أدخلتِ عليهم الروع في قلوبهم والحزن على فقدان مالهم، فلهم بذلك عليكِ حق غير مجرد رد المظالم، فإن لم تستطيعي رد ذلك المال فلا بد لك من طلب السماح منهم.

أما والعادة معك قديمة فلا بد من الاجتهاد في الرد وطلب المسامحة منهم، وإن خزي الدنيا دون خزي الآخرة، فهو شديد أليم، ثم عليك أيتها الأخت السائلة أن تعلمي أن النار حامية، وأن الله شديد العقاب، وأن الله غيور يغار أن تنهتك محارمه، فإن أخر للعبد انتقامه فإنما ذلك ليتوب العبد، وإلا فالعذاب شديد، والله عزيز ذو انتقام، ينتقم من كل من يستخف بمحارمه، وإياك أن تسول لك نفسك أن لك عذرًا بسبب كذا وكذا، فالله أنزل الشرع ليتحاكم به الخلق.

واعلمي أن شرع الله عز وجل لو طبق عليك لقطعت يدك، وإن كنت الآن تتمنين ذلك، إلا أنك حال تنفيذها ستشعرين بألم فراق هذه الجارحة الهامة عندك وتمشين بين الناس مفضوحة بقطع اليد، فاتقي الله وخافي عذابه، واعلمي أن الله يراكِ حال وقوعك في هذا الذنب، ولو أنك جمعت في ذلك الوقت أن الله عليك مطلع وعليك قادر لدفعك ذلك إلى ترك كل منكر ولزوم الحلال في المال والمطعم والمشرب، نسأل الله لنا ولك ولسائر المسلمين العفو والعافية في الدين والدنيا والآخرة.

لجنة الفتوى بالمركز العام شارك في فتاوى هذا العدد

د. عبد العظيم بدوي

لا يحل لكِ الإنفاق من مال زوجك بدون علمه

وتسأل سائلة:

إنني زوجة لرجل ميسور ماديًا، لديه محل للألبان، وأنا أساعده في المحل، وأقوم بأخذ بضاعة من المحل وإعطائها لأخت زوجي على سبيل المساعدة والهدية؛ علمًا بأن زوجي لو علم بذلك سوف يغضب، أفيدونا جزاكم الله خيرًا؟

الجواب: عن أبي أمامة قال: سمعت رسول الله ﷺ في خطبته عام حجة الوداع يقول: «لا تنفق امرأة شيئًا من بيت زوجها إلا بإذن زوجها». قيل: يا رسول الله، ولا الطعام؟ قال: «ذاك أفضل أموالنا». [ص. ت: (٦٧٠)].

وقد يكون الإذن صريحًا أو مفهومًا مما جرت به العادة، وعُلم طيب نفس الزوج به، فإن لم يكن إذن صريح ولا علمت المرأة طيب نفس زوجها بالصدقة فليس لها أن تتصدق، فإن فعلت فهي آثمة، والسائلة تقول: إن زوجها إذا علم غضب غضبًا شديدًا، فلا يحل لها حينئذ أن تنفق من ماله .والله أعلم.

حكم الصلاة أثناء خطبة الجمعة

ويسأل: شعبان سليمان إبراهيم- كلية الطب- جامعة أسيوط:

ما حكم الصلاة أثناء خطبة الجمعة؟

الجواب: لا تصح الصلاة أثناء الخطبة، إلا من الداخل، فإنه يصلي تحية المسجد، ومن كان في صلاة قبل أن يصعد الخطيب المنبر فعليه إذا رآه أن يتجوز في صلاته ويُقبل عليه لسماع الخطبة. والله أعلم.

حكم القاء السلام على النساء

كما يسأل:

ما حكم إلقاء السلام على النساء؟

الجواب: إذا كان مراد السائل بالسلام قول: السلام عليكم، فإن للرجل أن يسلّم على محارمه ولهن أن يسلّمن عليه، أما الأجنبية فإن كانت عجوزًا لا يفتتن بها جاز له أن يسلّم عليها، وإن كانت شابة فلا يجوز أن يبتدئها بالسلام ولا أن تبتدئه، سدًا للذرائع، ودرءًا للفتنة-- .«الأذكار للنووي» (٢٢٥)].

أما إن كان السائل يقصد بالسلام المصافحة؛ فمصافحة الأجنبية حرام، فقد قال ﷺ: «لأن يُطعن في رأس رجل بمخيط من حديد، خيرٌ من أن يمسَّ امرأة لا تحل له». [س. ص: (٢٢٦)].

الطلاق السُّني أن يطلق الرجل امرأته في طهر

ويسأل: ع. أ. ق- الجيزة:

هل يجوز للرجل تطليق امرأته التي تستخدم وسيلة لمنع الحمل في طهر جامعها فيه، حيث إن علة استقبال العدة تكون متحققة مع وجود الوسيلة؟

الجواب: الطلاق السُّنيُّ أن يطلّق الرجلُ امرأته في طهر لم يمسها فيه، وهذا أمرٌ تعبديّ يجب أن نتلقاه بالسمع والطاعة، ظهرت لنا الحكمة منه أو خفيت، وكون المرأة تتعاطى وسائل منع الحمل لا يبيح طلاقها في طُهر مُسَّت فيه، والسائل وغيره يعلمون أن كثيرًا من النساء يحملن مع تعاطي المانع. والله أعلم.

كما يسأل: ما هي حدود التعامل بين الرجل وامرأته المطلقة منه طلاقًا رجعيًا في فترة عدتها التي تمكثها في بيته، وهل عليها خدمته ورعاية شئونه؟

الجواب: المطلقة طلاقًا رجعيًا زوجة حتى تنتهي العدّة، لها السكنى والنفقة، وعليها خدمة زوجها ورعاية بيتها، ويستحب لها أن تتودّد إليه بما يسره، ﴿لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾. والله أعلم

حكم تسييد النبي ﷺ

ويسأل: خليل بغدادي- الأقصر:

١- ما حكم تسييد النبي * أي قولنا: «سيدنا محمد»؟

الجواب: عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد ولد آدم يوم القيامة» [م (٢٢٧٨)].

ونحن نؤمن بذلك، فإذا قال قائل: سيدنا رسول الله ﷺ، فقد قال حقًا، ولكن لا يجوز لنا أن نأتي بلفظ «سيدنا» في الأدعية والأذكار المشروعة، مثل: الأذان، والتشهد، والصلاة عليه ﷺ فيه؛ لأنها وردت عنه ﷺ بدون لفظ «سيدنا» واتباعه واجب، وزيادة هذا اللفظ ونحوه مخالفة له ﷺ، وقد قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي﴾، وقال: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾.

٢- ما حكم تعليق الصور الفوتوغرافية في المنزل؟

الجواب تعليق الصور في المنزل لا يجوز؛ لقوله ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة». [متفق عليه]. والصورة لفظ عام يشمل التماثيل وغيرها من الصور الفوتوغرافية. [انظر: شرح النووي لمسلم (١٤/٨)].

٣- عندنا في الصعيد الإمام يقنت سرًا في صلاة الفجر، وقد أخبرناه أن هذا الأمر ليس من هدي النبي *، ولكن لم يقتنع بذلك، فماذا نفعل مع ذلك الإمام؟

الجواب: المواظبة على القنوت في الفجر كل يوم سرًا أو جهرًا ليس من السنة وتركه في بعض الأيام مطلوب، ولكن إذا قنت الإمام فاتبعوه؛ لأن الاختلاف عليه في هذه الحالة من أسوأ أنواع الاختلاف. والله أعلم.

أجاب عليها: سماحة الشيخ: ابن عثيمين، رحمه الله

حكم الصلاة خلف من يعتقد أن النبي ﷺ يعلم الغيب!!

○ سُئل: من يعتقد أن النبي ﷺ نورٌ من نور الله وليس ببشر، وأنه يعلم الغيب، ثم هو يستغيث به ﷺ، معتقدًا أنه يملك النفع والضر، فما حكم ذلك؟ وهل تجوز الصلاة خلف هذا الرجل أو من كان على شاكلته؟ أفيدونا جزاكم الله خيرًا؟

● أجاب: من اعتقد أن النبي ﷺ نورٌ من نور الله وليس ببشر، وأنه يعلم الغيب فهو كافر بالله ورسوله، وهو من أعداء الله ورسوله، وليس من أولياء الله ورسوله؛ لأن قوله هذا تكذيب لله ورسوله، ومن كذب الله ورسوله فهو كافر، والدليل على أن قوله هذا تكذيب لله ورسوله قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾ [الكهف: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ يَعْلَمُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ الْغَيْبَ إِلاَّ اللَّهُ﴾ [النمل: ٦٥]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ وَلاَ أَعْلَمُ الْغَيْبَ وَلاَ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلاَّ مَا يُوحَى إِلَيَّ﴾ [الأنعام: ٥٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ لاَ أَمْلِكُ لِنَفْسِي نَفْعًا وَلاَ ضَرًّا إِلاَّ مَا شَاءَ اللَّهُ وَلَوْ كُنْتُ أَعْلَمُ الْغَيْبَ لاَسْتَكْثَرْتُ مِنَ الْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِيَ السُّوءُ إِنْ أَنَا إِلاَّ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾ [الأعراف: ١١٨]، وقوله ﷺ: «إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون فإذا نسيت فذكروني». [البخاري (٤٠١)، ومسلم (٥٧٢)].

ومن استغاث برسول الله ﷺ معتقدًا أنه يملك النفع والضر فهو كافر مكذب لله تعالى مشرك به؛ لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠]، وقوله تعالى: ﴿قُلْ إِنِّي لاَ أَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلاَ رَشَدًا (٢١) قُلْ إِنِّي لَنْ يُجِيرَنِي مِنَ اللَّهِ أَحَدٌ وَلَنْ أَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا﴾ [الجن: ٢٢، ٢٣]، وقوله ﷺ لأقاربه: «لا أغني عنكم من الله شيئًا». [البخاري (٢٧٥٣)، ومسلم (٣٥١)].

كما قال ذلك لفاطمة وصفية عمة رسول الله ﷺ.

ولا تجوز الصلاة خلف هذا الرجل ومن كان على شاكلته، ولا تصح الصلاة خلفه، ولا يحل أن يجعل إمامًا للمسلمين.

فتنة الدجال أعظم فتنة

سُئل: لماذا حذر الأنبياء أقوامهم من الدجال مع أنه لا يخرج إلا في آخر الزمان؟

أجاب: أعظم فتنة على وجه الأرض منذ خُلق آدم إلى قيام الساعة هي فتنة الدجال، كما قال ذلك النبي ﷺ، ولهذا ما من نبي من نوح إلى محمد- صلوات الله عليهم وسلامه- إلا أنذر قومه به. [أخرجه البخاري (٧١٢٧)]، تنويهًا بشأنه، وتعظيمًا لخطره، وتحذيرًا منه، وإلا فإن الله يعلم أنه لن يخرج إلا في آخر الزمان، ولكن أمر الرسل أن ينذروا قومهم إياه من أجل أن تتبين عظمته وفداحته، وقد صح ذلك عن النبي- عليه الصلاة والسلام- وقال: «إن يخرج وأنا فيكم فأنا حجيجه دونكم- صلوات الله وسلامه عليه يعني أكفيكم إياه- وإلا فامرؤ حجيج نفسه، والله خليفتي على كل مسلم». [مسلم (٢٩٣٧)]. نِعْمَ الخليفة ربنا- جل وعلا.

فهذا الدجال شأنه عظيم، بل أعظم فتنة كما جاء الحديث منذ خلق آدم إلى أن تقوم الساعة، فكان حريًا بأن يخص من بين فتن المحيا في التعوذ من فتنته في الصلاة: «أعوذ بالله من عذاب جهنم، ومن عذاب القبر، ومن فتنة المحيا والممات، ومن فتنة المسيح الدجال».

وأما الدجال فهو مأخوذ من الدجل وهو التمويه؛ لأن هذا مموه بل أعظم مموه، وأشد الناس دجلاً.

التتابع في صيام الستة من شوال

سُئل: ما هو الأفضل في صيام ستة أيام من شوال؟

أجاب: الأفضل أن يكون صيام أيام من شوال بعد العيد مباشرة وأن تكون متتابعة كما نص على ذلك أهل العلم؛ لأن ذلك أبلغ في تحقيق الاتباع الذي جاء في الحديث: «ثم أتبعه»، ولأن ذلك من السبق إلى الخير الذي جاءت النصوص بالترغيب فيه والثناء على فاعله، ولأن ذلك من الحزم الذي هو من كمال العبد، فإن الفرص لا ينبغي أن تفوت؛ لأن المرء لا يدري ما يعرض له في ثاني الحال وآخر الأمر، وهذا أعني المبادرة بالفعل وانتهاز الفرص ينبغي أن يسير العبد عليه في جميع أموره متى تبين الصواب فيها.

حكم الرقية وحكم تعليقها في عنق المريض

سئل: ما حكم الرُّقْيَة؟ وما حكم كتابة الآيات وتعليقها في عنق المريض؟

الجواب: الرقية على المريض المصاب بسحر أو غيره من الأمراض لا بأس بها إن كانت من القرآن الكريم، أو من الأدعية المباحة، فقد ثبت عن النبي ﷺ، أنه كان يرقي أصحابه، ومن جملة ما يرقيهم به: «ربنا الله الذي في السماء تقدس اسمك، أمرك في السماء والأرض، كما رحمتك في السماء فاجعل رحمتك في الأرض، أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع» فيبرأ. ومن الأدعية المشروعة: «بسم الله أرقيك من كل داء يؤذيك، من شر كل نفس أو عين حاسد، الله يشفيك، بسم الله أرقيك».

ومنها أن يضع الإنسان يده على الألم الذي يؤلمه من بدنه فيقول: «أعوذ بالله وعزته من شر ما أجد وأحاذر» إلى غير ذلك مما ذكره أهل العلم من الأحاديث الواردة عن الرسول ﷺ.

وأما كتابة الآيات والأذكار وتعليقها فقد اختلف أهل العلم في ذلك: فمنهم من أجازه، ومنهم من منعه، والأقرب المنع من ذلك؛ لأن هذا لم يرد عن النبي ﷺ، وإنما الوارد أن يقرأ على المريض، أما أن تعلق الآيات أو الأدعية على المريض في عنقه، أو في يده، أو تحت وسادته وما أشبه ذلك، فإن ذلك من الأمور الممنوعة على القول الراجح لعدم ورودها، وكل إنسان يجعل من الأمور سببًا لأمر آخر بغير إذن من الشرع، فإن عمله هذا يعد نوعًا من الشرك؛ لأنه إثبات سبب لم يجعله الله سببًا.

كيفية صلاة العيدين

سئل: ما كيفية صلاة العيدين؟

الجواب: كيفية صلاة العيدين أن يحضر الإمام ويؤم الناس بركعتين يكبر في الأولى تكبيرة الإحرام، ثم يكبر بعدها ست تكبيرات، ثم يقرأ الفاتحة، ويقرأ سورة «ق» في الركعة الأولى، وفي الركعة الثانية إذا قام سيقوم مكبرًا فإذا انتهى في القيام يكبر خمس تكبيرات، ويقرأ سورة الفاتحة، ثم سورة «اقتربت الساعة وانشق القمر» فهاتان السورتان كان النبي ﷺ يقرأ بهما في العيدين، وإن شاء قرأ في الأولى بسبح وفي الثانية بـ «هل أتاك حديث الغاشية». واعلم أن الجمعة والعيدين يشتركان في سورتين ويفترقان في سورتين فالسورتان اللتان يشتركان فيهما هما: سبح والغاشية، والسورتان اللتان يفترقان فيهما هما في العيدين «ق» و«اقتربت» وفي الجمعة «الجمعة» و«المنافقون» وينبغي للإمام إحياء السنة بقراءة هذه السور حتى يعرفها المسلمون ولا يستنكروها إذا وقعت، وبعد هذا يخطب الخطبة، وينبغي أن يخص شيئًا من الخطبة يوجهه إلى النساء يأمرهن بما ينبغي أن يقمن به، وينهاهن عن ما ينبغي أن يتجنبنه كما فعل النبي ﷺ.

لم يرد عن النبي ﷺ وأصحابه أن يكبر كل إنسان وحده

سئل: يقوم الإمام في بعض المدن في يوم العيد قبل الصلاة بالتكبير من خلال المكبر ويكبر المصلون معه، فما الحكم في هذا العمل؟

الجواب: هذه الصفة التي ذكرها السائل لم ترد عن النبي ﷺ وأصحابه، والسنة أن يكبر كل إنسان وحده.

بدء التكبير للعيد وصفته

سئل: متى يبتدئ التكبير للعيد؟ وما صفته؟

الجواب: التكبير يوم العيد يبتدئ من غروب الشمس آخر يوم من رمضان إلى أن يحضر الإمام لصلاة العيد.

وصفته أن يقول: الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد. أو يقول: الله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، لا إله إلا الله، والله أكبر، الله أكبر، الله أكبر، ولله الحمد، يعني إما أن يقول التكبير ثلاث مرات، أو مرتين كل ذلك جائز، ولكن ينبغي أن تظهر هذه الشعيرة فيجهر بها الرجال في الأسواق والمساجد والبيوت، أما النساء فإن الأفضل في حقهن الإسرار.

والله أعلم.

صفة الرؤية

الحلقة الثالثة

بقلم / أسامة سليمان

إثبات رؤية الله عز وجل - في الآخرة والأدلة على ذلك من الكتاب والسنة.

أولا الأدلة من القرآن الكريم:

١ - قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة:٢٢،٢٣].

٢ - وقال تعالى: ﴿كَلاَّ إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ﴾ [المطففين:١٥].

٣ - وقال تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

والمراد بالزيادة رؤيته تعالى كما سيأتي في الحديث الصحيح.

ثانيا: أدلة السنة، منها:

١ - ما رواه مسلم عن صهيب - رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «إذا دخل أهل الجنة الجنة يقول الله عز وجل تريدون شيئا أزيدكم؟ فيقولون: ألم تبيض وجوهنا، ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار؟ قال فيكشف الحجاب فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم ثم تلا هذه الآية ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس:٢٦].

٢ - وفي الصحيحين من حديث جرير بن عبد الله - رضي الله عنه - قال: «كنا جلوسا عند النبي صلى الله عليه وسلم. فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة فقال: إنكم سترون ربكم عيانًا كما ترون هذا لا تضامون في رؤيته فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها فافعلوا»

وأحاديث الرؤية من الأحاديث المتواترة.

٣ - وفيهما من حديث أبي هريرة «أن أناسا قالوا يا رسول الله هل نرى ربنا يوم القيامة؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم هل تضارون في رؤية القمر؟ قالوا: لا، قال: فإنكم ترونه كذلك».

وأحاديث الرؤية من الأحاديث المتواترة.

ثالثا: أقوال السلف رضي الله عنهم:

١ - عندما سئل الصديق رضي الله عنه - عن قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا الحُسْنَى وَزِيَادَةٌ﴾ قال: النظر إلى وجه الله تبارك وتعالى.

٢ - قول علي بن أبي طالب: «من تمام النعمة دخول الجنة والنظر إلى وجه الله تبارك وتعالى في جنته».

٣ - وسئل ابن عباس رضي الله عنهما: «كل من دخل الجنة يرى ربه؟ قال: نعم».

رابعا: أقوال التابعين:

ورد عنهم: «أن الزيادة في الآية الكريمة هي النظر إلى وجه الله الكريم» وهذا ما ثبت عن سعيد بن المسيب، والحسن، وعكرمة، ومجاهد، وقتادة، وغيرهم.

خامسا: طبقة الأئمة الأربعة وغيرهم من الأئمة والعلماء:

١ - قال مالك بن أنس: الناس ينظرون إلى ربهم يوم القيامة بأعينهم.

٢ - وقال الأوزاعي: «إني لأرجو أن يحجب الله جهما وأصحابه عن أفضل ثوابه الذي وعده الله أولياءه حين قال: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ * إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾».

ردة شبهة المعتزلة وغيرهم

١ - لا تعارض بين ما ورد عن رؤية الله من أدلة وبين قوله تعالى: ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وقوله لموسى ﴿لن تراني﴾ فإن الإدراك يختلف عن الرؤية لأن الإدراك يعني الإحاطة فالله عز وجل لا تحيط به الرؤية كما لا يحيط به العلم قال تعالى في سورة طه: ﴿ولا يحيطون به علما﴾.

٢ - وأما قوله تعالى لموسى ﴿لن تراني﴾ فهو نفي في الدنيا.

٣ - فضلا أن ذلك يثبت أن الرؤية ممكنة، لأن الرؤية لو لم تكن ممكنة لما طلبها موسى لأنه ما كان لنبي أن يسأل ما لا يمكن.

٤ - وأخيرا فإن الله علق رؤيته على استقرار الجبل، واستقرار الجبل أمر ممكن، فعلقه على ممكن، إذن الرؤية ممكنه هذا هو كلام أهل السنة في الرد على المعتزلة والخوارج وغيرهم من فرق الضلال.

أما الخلاف الذي وقع بين عائشة وابن عباس في أمر الرؤية حيث قال ابن عباس: «إن محمدا رأى ربه» وعائشة قالت: «من قال: إن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية» وهذا الخلاف حول رؤية النبي ربه في رحلة الإسراء والمعراج، لكن صاحب الطحاوية حين حقق المسألة وجد أنه لا خلاف بين ابن عباس وعائشة رضي الله عنهما إذ أن عائشة رضي الله عنها - تقصد الرؤية البصرية ﴿لا تدركه الأبصار﴾ وابن عباس يقصد الرؤية القلبية ﴿ما كذب الفؤاد ما رأى﴾ فرآه بقلبه ولم يره بعينيه، والرؤية القلبية ثابتة عند أهل السنة والجماعة كما في حديث الترمذي «رأيت ربي في أحسن صورة» «رؤية قلبية» ولا نسأل عن كيفيتها وإنما نثبت المعنى ونفوض الكيفية» وكذلك حديث اختصام الملاء الأعلى وأيضا قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نور أنى أراه».

والأحاديث الصحيحة التي أثبتت الرؤية بعبارات صريحة لا ينبغي أن تؤول.

بعض الصفات التي أثبتها أهل السنة والجماعة لله عز وجل

ومن الصفات التي أثبتها أهل السنة والجماعة لله - عز وجل -

١ - صفة الوجه:

أ - يقول تعالى: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾.

ب ـ ويقول تعالى: ﴿كل من عليها فان ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾.

٢ ـ صفة النفس:

يقول تعالى: ﴿تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك إنك أنت علام الغيوب﴾.

٣ ـ صفة العين: قال تعالى: ﴿ولتصنع على عيني﴾.

٤ ـ صفة اليد: قال تعالى: ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي﴾.

٥ ـ صفة الحب: قال تعالى: ﴿إن الله يحب المتقين﴾.

٦ ـ صفة الرضا: قال تعالى: ﴿لقد رضي الله عن المؤمنين إذ يبايعونك تحت الشجرة﴾.

٧ ـ صفة الكره: قال تعالى: ﴿ولكن كره الله انبعاثهم فثبطهم﴾.

٨ ـ صفة الغضب: قال تعالى: ﴿وغضب الله عليه ولعنه﴾.

٩ ـ صفة الكتابة: قال تعالى: ﴿وكتبنا له في الألواح من كل شيء موعظة وتفصيلا لكل شيء﴾.

وفي الحديث قال آدم لموسى عليه السلام: «يا موسى أصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده».

١٠ ـ صفة العَجَب: ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: «عجب ربنا من قوم يقادون إلى الجنة بالسلاسل» رواه البخاري وأحمد.

١١ ـ صفة الضحك: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «يضحك الله إلى رجلين يقتل أحدهما الآخر كلاهما يدخل الجنة» متفق عليه.

١٢ ـ صفة الغيرة: قوله صلى الله عليه وسلم: «أتعجبون من غيرة سعد والله لأنا أغير منه والله أغير مني، ومن أجل غيرة الله حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن».

١٣ ـ صفة الأصابع: قول النبي صلى الله عليه وسلم: «ما من قلب إلا هو بين أصبعين من أصابع الرحمن إن شاء أن يقيمه أقامه وإذا شاء أن يزيغه أزاغه» رواه الشيخان.

نؤمن بهذه الصفات بدون تكييف أو تحريف أو تشبيه أو تمثيل أو تعطيل.

من التأويلات الفاسدة التي لجأت إليها الفرق المخالفة لأهل السنة

١ ـ تأويلهم لصفة الاستواء بـ الاستيلاء.

٢ ـ وتأويلهم لصفة النفس بالغير.

٣ ـ وتأويلهم لصفة المجيء بالمجاز أي يجيء أمره ﴿وجاء ربك والملك صفا صفا﴾ عندهم جاء أمر ربك.

٤ ـ تأويلهم لصفة النزول بنزول الأمر فنقول لهم وهل أمر الله لا ينزل إلا في الثلث الأخير؟

٥ ـ وتأويلهم لصفة اليد بـ القدرة وهذا يثبت أن لله قدرتان قال تعالى: ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ إذن يكون المعنى بل قدرتاه فأثبتوا لله قدرتين فوقعوا في المحظور.

الفرق الملحدة والمخالفة لأهل السنة في توحيد المعرفة والإثبات

١ ـ الجهمية: وهؤلاء ينسبون إلى جهم بن صفوان وهم يقولون بخلق القرآن ونفوا الأسماء والصفات جميعا ولا يثبتون لله ذاتا ولا صفة.

٢ ـ الحلولية: وهم الذين يزعمون أن معبودهم في كل مكان بذاته، وينزهونه عن استوائه على العرش وعلوه على خلقه، ولم يصونوه عن أقبح الأماكن وأقذرها، ويشبهون حلوله في العالم بحلول السمن في اللبن، ولقد تصدى لهم إمام السنة أحمد ابن حنبل، ومقابل هذا نجد غلاة الجهمية يقولون: إن الله ليس في داخل العالم ولا خارجه، ولا على عرشه، أي أنهم يثبتون عدما ولا يثبتون له ذاتا.

٣ ـ الاتحادية: وهم القائلون أن الوجود بأثره هو الحق، وأن جميع الأضداد شيء واحد، وهم طائفة ابن عربي، وأصل هذا المذهب انتحله ابن سبعين: الذي جاور في بعض الأوقات في غار حراء ينتظر الوحي، لأن النبوة عندهم مكتسبة وأنها فيض من العقل الفعال، وكان ابن سبعين عليه من الله ما يستحق إذا رأى من يطوف بالبيت يقول كأنهم الحمير حول المدار وأنهم لو طافوا به لكان أفضل من طوافهم بالبيت.

٤ ـ القدرية: وهم نفاة القدر وهم قسمان:

أ ـ قسم نفي وتقدير الخير والشر بالكلية، وجعل العباد هم الخالقين لأفعالهم.

ب ـ وقسم نفوا تقدير الخير دون الشر؛ فقالوا إن الخير من تقدير الله وإن الشر من خلق الإنسان فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثا وهذا راجع إلى مذهب الثانوية الذين أثبتوا خالقين؛ خالقًا للخير وخالقًا للشر.

٥ ـ الجبرية: وهم الذين يجعلون الإنسان مجبورا على الخير والشر، فهم على الضد من القدرية فهم لا يثبتون الإرادة الشرعية ويجعلون المعاصي طاعات.

٦ ـ الفلاسفة: وهم قوم نظروا في كتب فلاسفة اليونان، وحاولوا أن يوفقوا بين آرائهم وعقائد الدين، فأثبتوا لله وجودا مطلقا بلا تعيين، فأثبتوا ذات الخالق ولم يثبتوا صفات هذا الخالق، أي جعلوه سبحانه موجودا في الأذهان فقط، ونفوا جميع الصفات الوجودية ولا يقرون بتوحيد الربوبية، فالعقل الفعال هو الخالق عندهم.

٧ ـ المعتزلة: وهؤلاء يثبتون أسماء بلا معاني فيقولون إن الله سميع بلا سمع، عليم بلا علم، قدير بلا قدرة، فضلا عن قولهم بخلق القرآن.

٨ ـ الأشاعرة: وهؤلاء يثبتون لله سبع صفات يسمونها صفات المعاني؛ هي العلم والقدرة والإرادة والحياة والسمع والبصر والكلام وباقي الصفات والأسماء يؤولونها فضلا عن قولهم بالكلام النفسي.

تحذير الداعية من القصص الواهية

الحلقة السابعة والعشرون

إعداد: علي حشيش

قصة موت الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه

نواصل في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص وكثير من الكتاب الذين يكتبون عن أصحاب رسول الله ﷺ، ومما زاد القصة اشتهارًا وانتشارًا أن أحد الخطباء أوردها في كتاب «أصحاب الرسول ﷺ».

أولا: متن القصة:

قال عمرو بن العاص: عجبًا لمن نزل به الموت وعقله معه، كيف لا يصفه؟ فلما نزل به الموت، قال له ابنه عبد الله بن عمرو: يا أبتِ، إنك كنت تقول: عجبًا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه فصف لنا الموت وعقلك معك، فقال: يا بني، الموت أجلّ من أن يوصف، ولكني سأصف لك منه شيئًا؛ أجدني كأن على عنقي جبال رضْوَى وأجدني كأن في جوفي شوك السُّلاءِ، وأجدني كأن نفسي يخرج من ثقب إبرةٍ. اهـ.

ثانيا: أسباب البحث في هذه القصة:

١- المقارنة بين أحوال الناس عند احتضارهم وبين حالة الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه عند احتضاره.

قال تعالى في كتابه العزيز في ختام سورة الواقعة: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ (٨٨) فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ (٨٩) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩٠) فَسَلَامٌ لَكَ مِنْ أَصْحَابِ الْيَمِينِ (٩١) وَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُكَذِّبِينَ الضَّالِّينَ (٩٢) فَنُزُلٌ مِنْ حَمِيمٍ (٩٣) وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ (٩٤) إِنَّ هَذَا لَهُوَ حَقُّ الْيَقِينِ (٩٥) فَسَبِّحْ بِاسْمِ رَبِّكَ الْعَظِيمِ﴾.

٢- قال الإمام الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٤/٣٠٠): هذه الأحوال الثلاثة هي أحوال الناس عند احتضارهم:

أ- إما أن يكون من المقربين.

ب- أو يكون ممن دونهم من أصحاب اليمين.

جـ- وإما أن يكون من المكذبين بالحق، الضالين عن الهدى، الجاهلين بأمر الله، ولهذا قال تعالى: ﴿فَأَمَّا إِنْ كَانَ﴾ أي: المحتضر ﴿مِنَ الْمُقَرَّبِينَ﴾ وهم الذين فعلوا الواجبات والمستحبات وتركوا المحرمات وبعض المباحات ﴿فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ﴾ أي: فلهم روح وريحان وتبشرهم الملائكة بذلك عند الموت- كما تقدم في حديث البراء. اهـ.

٣- قلت: وحديث البراء بين حالة العبد المؤمن عند الاحتضار، وحالة العبد الكافر أو الفاجر عند الاحتضار.

أ- حالة العبد المؤمن عند الاحتضار «حالة المقربين وأصحاب اليمين».

قال النبي ﷺ: «إن العبد المؤمن إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه ملائكة من السماء، بيض الوجوه، كأن وجوههم الشمس، معهم كفن من أكفان الجنة، وحنوط من حنوط الجنة، حتى يجلسوا منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت عليه السلام حتى يجلس عند رأسه فيقول: أيتها النفس الطيبة. (وفي رواية: المطمئنة) اخرجي إلى مغفرة من الله ورضوان، قال: فتخرج تسيل كما تسيل القطرة من في السقاء، فإذا أخذها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يأخذوها فيجعلوها في ذلك الكفن وفي ذلك الحنوط فذلك قوله تعالى: ﴿تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لاَ يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦١] ». اهـ.

ب- حالة العبد الكافر أو الفاجر عند الاحتضار.

قال النبي ﷺ: «وإن العبد الكافر (وفي رواية: الفاجر) إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة نزل إليه من السماء ملائكة [غلاظ شداد]، سود الوجوه معهم المسوح [من النار] فيجعلون منه مد البصر، ثم يجيء ملك الموت حتى يجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة اخرجي إلى سخط من الله وغضب، قال: فتفرق في جسده فينتزعها كما يتنزع السَّفود [الكثير الشعب] من الصوف المبلول [فتقطع معها العروق والعصب] فيأخذها فإذا أخذها لم يدعها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح». اهـ.

قلت: حديث البراء مرفوعًا أخرجه أحمد (٢٨٧/٤، ٢٨٨، ٢٩٥، ٢٩٦) (ح١٨٥٥٧)، (١٨٦٣٦) والسياق له، وأخرجه الآجُرّي في «الشريعة» (١٩٠/٢) (ح٩١٩)، وأخرجه أبو داود (ح٤٧٥٣، ٤٧٥٤)، والحديث صححه الإمام ابن القيم ونقل تصحيح أبي نعيم والحاكم له في «تهذيب السنن» (١٤٠/٧)، وأخرجه الحاكم (٣٧/١- ٤٠)، وقال: «صحيح على شرط الشيخين».

٤- بتطبيق القول المنسوب إلى الصحابي الجليل وهو يصف حالة احتضاره، حيث قال: «أجدني كأن في جوفي شوك السُّلاَّء». والسلاء: شوك النخل الواحدة سلاءة، نجده ينطبق تمام الانطباق على قوله ﷺ: «فيتنزعها كما ينتزع السَّفود الكثير الشعب من الصوف المبلول». وهذه الحالة هي حالة العبد الكافر أو الفاجر.

٥- قلت: كيف تكون هذه حالة الصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه. وقد ثبت في مسند أحمد (٣٥٤/٢/٣٢٧، ٣٥٣)، والحاكم (٤٥٢/٣) من حديث محمد بن عمرو عن أبي سلمة عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «ابنا العاص مؤمنان».

قلت: وله شاهد بالإيمان أخرجه أحمد والروياني في مسنده والترمذي من حديث عقبة بن عامر، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «أسلم الناس وآمن عمرو».

قلت: وأورد هذا الشاهد الألباني رحمه الله في «الصحيحة» (٢٣٨/١) (ح١٥٥)، وحسنه وأورد حديث أبي هريرة (ح١٥٦) وصححه، ثم قال في «الصحيحة» (٢٣٩/١): «وفي الحديث منقبة عظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه؛ إذ شهد له النبي ﷺ بأنه مؤمن، فإن هذا يستلزم الشهادة له بالجنة؛ لقوله ﷺ في الحديث الصحيح المشهور: «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة» متفق عليه.

وعلى هذا فلا يجوز الطعن في عمرو رضي الله عنه كما يفعل بعض الكتاب المعاصرين، وغيرهم من المخالفين، بسبب ما وقع له من الخلاف. اهـ.

٦- قلت: وعلى هذا فالصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه شهد له النبي ﷺ بأنه مؤمن، والحالة التي جاءت في القصة هي حالة الكافر والفاجر والمنافق.

٧- قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله في الفتاوى (٦٢/٣٥):

أ- «ومعاوية وعمرو وأمثالهم من المؤمنين لم يتهمهم أحد من السلف بنفاق، بل قد ثبت في الصحيح أن عمرو بن العاص لما بايع النبي ﷺ قال: «على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي»، فقال ﷺ: «يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله». ومعلوم أن الإسلام الهادم هو إسلام المؤمنين لا إسلام المنافقين».

ب- «وأيضًا فعمرو بن العاص وأمثاله ممن قدم مهاجرًا إلى النبي ﷺ بعد الحديبية هاجر إليه من بلاده طوعًا لا كرهًا والمهاجرون لم يكن فيهم نفاق، وإنما كان النفاق في بعض من دخل من الأنصار يظهرون الإسلام نفاقًا لعز الإسلام وظهوره في قومهم.

جـ- وعمرو بن العاص قد أمَّره النبي ﷺ في غزوة ذات السلاسل والنبي ﷺ لم يول على المسلمين منافقًا. اهـ.

٨- قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٩٣/٨) سنة ثلاث وأربعين:

أ- «وممن توفي فيها عمرو بن العاص على المشهور، وكان أحد أمراء المسلمين، وهو أمير ذات السلاسل وأمره رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفارق، واستعمله رسول ﷺ على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله ﷺ وأقره عليها الصديق».

ب- ثم إن الصديق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام، فكان ممن شهد تلك الحروب وكانت له الآراء السديدة والمواقف الحميدة والأحوال السعيدة.

ج- ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابه عليها.

يتهمهم أحد من السلف بنفاق، بل قد ثبت في الصحيح أن عمرو بن العاص لما بايع النبي ﷺ قال: «على أن يغفر لي ما تقدم من ذنبي»، فقال ﷺ: «يا عمرو، أما علمت أن الإسلام يهدم ما كان قبله». ومعلوم أن الإسلام الهادم هو إسلام المؤمنين لا إسلام المنافقين.

ب- «وأيضًا فعمرو بن العاص وأمثاله ممن قدم مهاجرًا إلى النبي ﷺ بعد الحديبية هاجر إليه من بلاده طوعًا لا كرهًا والمهاجرون لم يكن فيهم نفاق، وإنما كان النفاق في بعض من دخل من الأنصار يظهرون الإسلام نفاقًا لعز الإسلام وظهوره في قومهم.

وأما أهل مكة فكان أشرافهم وجمهورهم كفارًا لم يكن يظهر الإيمان إلا من هو مؤمن ظاهرًا وباطنًا فإنه كان من أظهر الإسلام يؤذى ويهجر.

وإنما المنافق يظهر الإسلام لمصلحة دنياه، وكان من أظهر الإسلام بمكة يتأذى في دنياه».

جـ- والمهاجرون من أولهم إلى آخرهم ليس فيهم من اتهمه أحد بالنفاق بل كلهم مؤمنون مشهود لهم بالإيمان.

د- وعمرو بن العاص قد أمَّره النبي ﷺ في غزوة ذات السلاسل والنبي ﷺ لم يول على المسلمين منافقًا. اهـ.

٨- قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٩٣/٨) سنة ثلاث وأربعين:

أ- «وممن توفي فيها عمرو بن العاص على المشهور، وكان أحد أمراء المسلمين، وهو أمير ذات السلاسل وأمره رسول الله ﷺ بمدد عليهم أبو عبيدة ومعه الصديق وعمر الفارق، واستعمله رسول ﷺ على عمان فلم يزل عليها مدة حياة رسول الله ﷺ وأقره عليها الصديق».

ب- ثم أن الصديق بعثه في جملة من بعث من أمراء الجيش إلى الشام، فكان ممن شهد تلك الحروب وكانت له الآراء السديدة والمواقف الحميدة والأحوال السعيدة.

ح- ثم بعثه عمر إلى مصر فافتتحها واستنابه عليها.

الاستنتاج:

من هذا البحث يتبين:

١- أن الصحابي عمرو بن العاص من المؤمنين ولم يتهمه أحد من السلف بنفاق.

٢- قال شيخ الإسلام ابن تيمية في «مجموع ورسوله فمن لعنهم فقد عصى الله ورسوله».

٣- وتبين من الأدلة الثابتة المنقبة العظيمة لعمرو بن العاص رضي الله عنه؛ إذ شهد له النبي ﷺ بأنه مؤمن.

٤- من هذا يتبين التناقض الشديد بين هذه المنقبة العظيمة، وبين ما نسب إليه في القصة وهو يصف حالة احتضاره تلك الحالة التي بينت السنة الثابتة أنها حالة الكافر أو الفاجر أو المنافق بل أشد، كما بيَّنا آنفًا.

ثالثًا التخريج

١- القصة أخرجها ابن سعد في «الطبقات الكبرى» (٤٤٨/٤): «الصحابة الذين أسلموا قبل فتح مكة» رقم (٤٤٣) حيث قال: أخبرنا هشام بن محمد بن السائب الكلبي عن عوانة بن الحكم قال: عمرو بن العاص يقول: «عجبًا لمن نزل به الموت وعقله معه كيف لا يصفه». فذكر القصة.

رابعًا التحقيق

القصة واهية: والخبر الذي جاءت به القصة «موضوع» فهو كذب مختلق مصنوع وهو مسلسل بالعلل:

١- العلة الأولى: هشام بن محمد بن السائب الكلبي:

أ- قال الإمام الحافظ ابن حبان في «المجروحين» (٩١/٣): «هشام بن محمد بن السائب أبو المنذر الكلبي من أهل الكوفة يروي عن العراقيين العجائب والأخبار التي لا أصول لها، وكان غاليًا في التشيع، أخباره في الأغلوطات أشهر من أن يحتاج إلى الإغراق في وصفها». اهـ.

قلت: انظر إلى قول الإمام ابن حبان: «وكان غاليًا في التشيع» وكيف وصل به الغلو إلى أن يأتي بخبر لا أصل له يجعل حالة احتضار الصحابي عمرو بن العاص كحالة احتضار الكفار والفجار.

ب- قال الإمام الحافظ أبو جعفر العقيلي في «الضعفاء الكبير» (١٩٤٥/٣٣٩/٤): «حدثنا عبدالله بن أحمد، قال: سمعت أبي يقول: هشام بن محمد بن السائب الكلبي مَن يحدث عنه؟ إنما هو صاحب سمر ونسب وما ظننت أن أحدًا يحدث عنه». اهـ.

جـ- قال الإمام الحافظ ابن عدي في «الكامل» (١١٠/٧- ٢٠٢٦/٩): سمعت ابن حماد يقول: حدثني عبد الله سمعت أبي يقول: هشام بن الكلبي فذكر ما أخرجه العقيلي.

د- أورده الدارقطني في كتابه «الضعفاء

والمتـــروكين» برقم (٥٦٣) مما يدل على أن هشـــام بن الكلبي اتفق الأئمة البرقاني، وابن حمكان والدارقطني على تركه.

هـ- أورده الذهبي في «الميـــزان» (٩٢٣٧/٣٠٤/٤): حـيث أقـر قـول الإمـام أحـمـد بن حنبل، ونقل عن الدارقطني وغـيـره: أنه مـتـروك. وقال ابن عسـاكـر: رافضي ليس بثقة.

و- وأقر الحافظ ابن حجر في «اللسان» (٦/٢٣٧-٨٩٣٧/٨١) قول أحمد في هشام بن الكلبي: «ما ظننت أن أحدًا يحدث عنه». وقول الدارقطني وغـيـره: إنه متروك وقول ابن عساكر: «إنه رافضي، ليس بثقة».

الرافضة وأثرهم السيئ في الحديث

قلت: بهذا يتبين أسباب وضع هذه القصة من هذه العلة التي كشفت عن هشام بن محمد بن السائب الكلبي، حيث تبين أنه كان غاليًا في التشيع، حتى قال ابن عساكر: إنه رافضي، فنجد الإمام ابن الجوزي في «الموضـــوعـــات» (٣٨/١) وهو يبين دواعي الوضع وأصناف الوضاعين قال: «القسم الثالث: قوم كانوا يقصدون وضع الحديث نصرة لمذهبهم».

قلت: بيَّن ذلك السخاوي في «فتح المغيث» (٣٠٠/١)، ثم ذكر الرافضة، ثم قال: «الرافضة فرق متنوعة من الشيعة وانتسبوا كذلك لأنهم بايعوا زيد بن علي، ثم قالوا له: تبرأ من الشيخين، فأبى، وقال: كانا وزيري جدي ﷺ، فتركوه ورفضوه». اهـ.

قلت: وهذا ما بيّنه شيخ الإسلام ابن تيمية في «الفتاوى» (٣٥/١٣) قال: «وأما لفظ الرافضة: فهذا اللفظ أول مـا ظهـر في الإسـلام، لما خـرج زيد بن علي بن الحسين في أوائل المائة الثانية في خلافة هشام بن عبد الملك واتبعه الشيعة فسئل عن أبي بكر وعمر فتولاهما وترحم عليهما فرفضه قوم، فقال: رفضتموني، رفضتموني، فسموا الرافضة، فالرافضة تتولى أخاه أبا جعفر محمد بن علي والزيدية يتولون زيدًا وينسبون إليه، ومن حينئذ انقسمت الشيعة إلى: زيدية، ورافضة إمامية». اهـ.

تحذير

فليحذر من وقع في أحوال هذه القصة أن يؤوِّل ما نسب للصحابي عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو صاحب منقبة عظيمة؛ إذ شهد له النبي ﷺ بأنه مؤمن ليبرر موقفه أمام الناس.

أ- لأن التأويل فرع التصحيح والقصة واهية.

ب- وأنَّى له التأويل والقصة من الأباطيل التي اختلقها غلاة الشيعة من الرافضة وأئمتنا يقولون: «ثبت العرش ثم انقش».

والقصة خاوية على عروشها، حيث تتابع عللها، ففوق علة هشام بن الكلبي الرافضي المتروك عند أئمة الحديث علة أخرى.

العلة الأخرى: عوانة بن الحكم

وهو عـوانة بن الحكم بن عـوانة بن عـيـاض الإخباري الكوفي الذي نقل عنه هشام بن الكلبي هذه القصة.

أ- أورده ابن عراق في «تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة» من بين أسماء الوضاعين والكذابين في الفصل الأول الذي ابتدأ به كتابه هذا مرتبًا على حروف المعجم تحت حرف العين المهملة رقم (٣٧٠)، ثم قال: «عوانة بن الحكم قيل: كان عثمانيًا وكان يضع الأخبار لبني أمية».

قلت: وقدّم لهذا الفصل في «تنزيه الشريعة» (١٧/١) فقال: «فصل في سرد أسماء الوضاعين والكذابين ومن كان يسرق الأحاديث ويقلب الأخبار ومن اتهم بالكذب والوضع من رواة الأخبار ملخصًا من الميزان والمغني وذيله للحافظ الذهبي ولسان الميزان للحافظ ابن حجر مع زوائد من موضوعات ابن الجوزي مرتبًا على حروف المعجم». اهـ.

قلت: بالرجـوع إلى «لسـان الميـزان» (٤٤٦/٤-٦٣٧٥/٢٠٢٤).

قال الحافظ ابن حجر: «عوانة بن الحكم كان أبوه عبدًا خياطًا وأمه أمة وهو كثير الرواية عن التابعين، قلّ أن روى حديثًا مسندًا، كان عثمانيًا فكان يضع الأخبار لبني أمية، مات سنة ثمان وخمسين ومائة». اهـ.

من هذا التحقيق يتبين أن سند هذا الخبر تالف.

علة ثالثة: وهي السقط في السند. تظهر من قول هشام بن الكلبي عن عوانة بن الحكم قال: «عمرو بن العاص يقول...».

قلت: فصيغة الأداء تدل على السقط في الإسناد، فلم يقل عوانة بن الحكم: «سمعت عَمْرًا»، وهي طريقة التحمل للسماع ولم يقل: «أخبرني» للقراءة ولم يقل: «أنبأني» للإجازة، وأنى له أن يشهد احتضار عمرو رضي الله عنه، بل وقد لا يدرك ذلك، حيث قال الحافظ ابن كثير في «البداية والنهاية» (٣٩٢/٨): «ثم دخلت سنة ثلاث وأربعين.. وممن توفي فيها عمرو بن فتاويه» (٦٦/٣٥): «وإذا كـانوا مـؤمنين مـحـبين لله

التوسل بين أهل السنة ومخالفيهم

الحلقة الأخيرة

بقلم / معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: -

نواصل حديثنا حول موضوع التوسل فنقول مستعينين بالله: -

النوع الرابع

التوسل إلى الله تعالى بجاه فلان أو حقه أو حرمته أو بركته، كأن يقول المتوسل: اللهم إني أتوسل إليك بجاه فلان عندك أو بحقه عليك.. أو بحرمته.. أو بركته أن تقضي حاجتي.

فهذا عمل لم يشرعه الله ولم يبلغه رسوله ﷺ، ولا أمر به، ولا حض عليه، ولم يصل إلينا عن أحد من أصحابه، رضي الله عنهم.

وقد احتج المجيزون لهذا النوع من التوسل بحديث: «توسلوا بجاهي، فإن جاهي عند الله عظيم». وهو حديث باطلٌ لا أصل له في كتب الحديث، وإنما يرويه بعض الجهال بالسنة، كما نبه على ذلك شيخ الإسلام ابن تيمية في «القاعدة الجليلة»، قال: «مع أن جاهه ﷺ عند الله أعظم من جاه جميع الأنبياء والمرسلين، ولكن جاه المخلوق عند الخالق ليس كجاه المخلوق عند المخلوق، فإنه لا يشفع عنده أحد إلا بإذنه، والمخلوق يشفع عند المخلوق بغير إذنه، فهو شريك له في حصول المطلوب، والله تعالى لا شريك له، كما قال سبحانه: ﴿قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ لاَ يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلاَ فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِنْ شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُمْ مِنْ ظَهِيرٍ. وَلاَ تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]، فلا يلزم إذن من كون جاهه ﷺ عند ربه عظيمًا، أن نتوسل به إلى الله تعالى لعدم ثبوت الأمر به عنه ﷺ، ويوضح ذلك أن الركوع والسجود من مظاهر التعظيم فيما اصطلح عليه الناس، فقد كانوا وما يزال بعضهم يقومون ويركعون ويسجدون لملكهم ورئيسهم والمعظم لديهم، ومن المتفق عليه بين المسلمين أن محمدًا ﷺ هو أعظم الناس لديهم، وأرفعهم عندهم، ترى فهل يجوز لهم أن يقوموا ويركعوا أو يسجدوا له في حياته وبعد مماته؟

الجواب: إنه لا بد لمن يجوِّز ذلك، من أن يثبت وروده في الشرع، وقد نظرنا فوجدنا أن السجود والركوع لا يجوز أن يكون إلا لله سبحانه وتعالى، وقد نهى النبي ﷺ أن يسجد أو يركع أحد لأحد، كما أننا رأينا في السنة كراهية النبي ﷺ للقيام، فدل ذلك على عدم مشروعيته.

ترى فهل يستطيع أحد أن يقول عنا حين نمنع السجود لرسول الله ﷺ: أننا ننكر جاهه ﷺ وقدره؟ كلا، ثم كلا.

فظهر من هذا بجلاء- إن شاء الله تعالى- أنه لا تلازم بين ثبوت جاه النبي ﷺ وبين تعظيمه بالتوسل بجاهه مادام أنه لم يرد في الشرع.

وإن من جاهه ﷺ أنه يجب علينا اتباعه وإطاعته، كما يجب إطاعة ربه، وقد ثبت أنه قال: «ما تركت شيئًا يقربكم إلى الله إلا أمرتكم به». فإذا لم يأمرنا بهذا التوسل ولو أمر استحباب فليس عبادة، فيجب علينا

اتباعه في ذلك وأن ندع العواطف جانبًا.

ولا نفسح لها المجال حتى تدخل في دين الله ما ليس منه بدعوى حبه ﷺ، فالحب الصادق إنما هو بالاتباع، وليس بالابتداع، كما قال عز وجل: ﴿ قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ ﴾، ومنه قول الشاعر:

تعصي الإله وأنت تظهر حبه
هذا وربي في القياس بديع
لو كان حبك صادقًا لأطعته
إن المحب لمن يحب مطيع

وقال شارح الطحاوية رحمه الله: «ولا مناسبة بين ذلك- أي صلاح المتوسل به- وبين استجابة الدعاء، فكأن المتوسل يقول: لكون فلان من عبادك الصالحين أجب دعائي! وأي مناسبة في هذا... وأي ملازمة؟ وإنما هذا من الاعتداء في الدعاء، وقد قال تعالى: ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لاَ يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴾.

وهذا.. ونحوه من الأدعية المبتدعة، ولم ينقل عن النبي ﷺ ولا عن الأئمة رضي الله عنهم أجمعين، وإنما يوجد مثل هذا في الحروز والهياكل- أي التمائم- التي يكتب بها الجهال والطرقية والدعاء من أفضل العبادات، والعبادات مبناها على السنة والاتباع لا على الهوى والابتداع».

النوع الخامس: الإقسام على الله جل وعلا بالمتوسل به

كأن يقول: اللهم أقسم عليك بفلان أن تقضي لي حاجتي.. والأصل في القسم أو الحلف أن يكون بالله تعالى؛ لأنه عبادة، ومعلوم أن العبادة لا يجوز أن تصرف إلا لله عز وجل، ولذا فإنه لا يجوز القسم أو الحلف بغيره سبحانه. وقد ثبت في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «من كان حالفًا فليحلف بالله أو ليصمت». وفي لفظ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». رواه أحمد والترمذي والحاكم وصححه، فإذا فهم هذا فيتعين أنه لا يجوز الحلف بمخلوق على مخلوق، فكيف يجوز الحلف بالمخلوق على الخالق؟! كأن يقول مثلاً: اللهم أني أقسمت عليك بفلان، أو أسألك بحق فلان أن تقضي حاجتي.

قال الشيخ ابن أبي العز الحنفي: «وأما الإقسام على الله بحق فلان، فذلك محذور؛ لأن الإقسام بالمخلوق لا يجوز، فكيف على الخالق؟! وقد قال ﷺ: «من حلف بغير الله فقد أشرك». ولهذا قال أبو حنيفة وصاحباه رضي الله عنهم: يكره أن يقول الداعي: أسألك بحق فلان أو بحق أنبيائك ورسلك، وبحق البيت الحرام، والمشعر الحرام، كما أن القول: بجاه فلان عندك أو نتوسل إليك بأنبيائك ورسلك وأوليائك، ومراده أن فلانًا عندك ذو وجاهة وشرف ومنزلة فأجب دعاءنا، وهذا أيضًا محذور فإنه لو كان هذا هو التوسل الذي كان الصحابة يفعلون في حياة النبي ﷺ لفعلوه بعد موته، وإنما كانوا يتوسلون في حياته بدعائه، ويطلبون منه أن يدعو لهم، وهم يؤمنون على دعائه، كما في الاستسقاء وغيره، فلما مات رسول الله ﷺ قال عمر رضي الله عنه- لما خرجوا يستسقون-: اللهم إنا كنا إذا أجدبنا نتوسل إليك بنبينا فتسقينا، وإنا نتوسل إليك بعم نبينا، معناه: بدعائه الله لنا، وشفاعته عنده، وليس المراد أن نقسم عليك- به- أو نسألك بجاهه عندك؛ إذ لو كان ذلك مرادًا، لكان جاه النبي ﷺ أعظم وأعظم من جاه العباس». اهـ.

الصحابة لم يقسموا على الله بالنبي.. ولم يسألوه به!!

قال ابن تيمية رحمه الله: التوسل بمعنى الإقسام على الله بذاته ﷺ أو السؤال به، فهذا هو الذي لم يكن الصحابة يفعلونه في الاستسقاء ونحوه لا في حياته، ولا بعد مماته، لا عند قبره، ولا غير قبره، ولا نعرف

هذا في شيء من الأدعية المشهورة بينهم، وإنما ينقل شيء من ذلك في أحاديث ضعيفة مرفوعة وموقوفة أو عمن ليس قوله حجة.

ونختتم الموضوع بهذه الفتوى الهامة:

فتوى رسمية

من مفتي الديار المصرية

نشرتها مجلة الإذاعة المصرية في ١٩٥٧/٣/٧م

سُئل فضيلة الأستاذ حسن مأمون مفتي الديار المصرية سؤالين هامين عن زيارة الأضرحة والتوسل، فأجاب فضيلته بما يلي:

س ١: ما حكم الشرع في زيارة الأضرحة - أضرحة الأولياء - والطواف بالمقصورة، وتقبيلها والتوسل بالأولياء؟

ج ١: أود أن أذكر أولاً: أن أصل الدعوة الإسلامية، يقوم على التوحيد، والإسلام يحارب جاهدًا كل ما يقرب الإنسان من مزالق الشرك بالله. ولا شك أن التوسل بالأضرحة والموتى، أحد هذه المزالق، وهي رواسب جاهلية، فلو نظرنا إلى ما قاله المشركون عندما نعى عليهم الرسول ﷺ عبادتهم للأصنام، قالوا له: ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلاَّ لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى﴾، فهي نفس الحجة التي يسوقها اليوم الداعون للتوسل بالأولياء لقضاء حاجة عند الله، أو التقرب منه، ومن مظاهر هذه الزيارات؛ أفعال تتنافى كلية مع عبادات إسلامية ثابتة، فالطواف في الإسلام، لم يشرع إلا حول الكعبة، وكل طواف حُوّل إلى مكان آخر، حرام شرعًا، والتقبيل في الإسلام لم يسن إلا للحجر الأسود، وحتى الحجر الأسود قال فيه عمر وهو يقبله: «والله لولا أني رأيت رسول الله يقبلك ما فعلت». فتقبيل الأعتاب أو نحاس الضريح، أو أي مكان به حرام قطعًا.

وتأتي بعد ذلك الشفاعة، وهذه هي في الآخرة غيرها في الدنيا، فالشفاعة ارتبطت في أذهاننا بما يحدث في هذه الحياة من توسط إنسان لآخر أخطأ عند رئيسه، وبيده أمره، يطلب إليه أن يغفر له هذا الخطأ، وإن كان هذا المخطئ لا يستحق العفو والمغفرة، غير أن الله سبحانه وتعالى قد حدد طريق الشفاعة في الآخرة، فهذه الشفاعة لن تكون إلا لمن يرتضي الله أن يشفعوا، ولأشخاص يستحقون هذه الشفاعة، وهؤلاء أيضًا يحددهم.

إذن فكل هذا متعلق بإذن الله وحكمه، فإذا نحن سبقنا هذا الحكم بطلب الشفاعة من أيٍّ كان، فإن هذا عبث؛ لأننا لا نستطيع أن نعرف من سيأذن الله لهم بالشفاعة ومن يشفع لهم.

وعلى ذلك يتضح أن كل زيارة للأضرحة - غير الشرعية - والطواف حولها وتقبيل المقصورة والأعتاب، والتوسل بالأولياء، وطلب الشفاعة منهم، كل هذا حرام قطعًا ومنافٍ للشريعة، أو فيه إشراك بالله، وعلى العلماء أن ينظموا حملة جادة، لتبيان هذه الحقائق، فإن الكثير من العامة بل ومن الخاصة، ممن لم تتح لهم المعرفة الإسلامية الصحيحة، يقعون فريسة الرواسب الجاهلية التي تتنافى مع الإسلام، وإذا أخذ الناس بالرفق في هذا الأمر، فلا بد أنهم سوف يستجيبون للدعوة، لأن الجميع حريصون ولا شك على التعرف على حقائق دينهم.

س ٢: هل يجوز النذر لغير الله، مثل أن ينذر أحدهم نتاج ماشيته أو ريع أرضه، أو مبلغًا من المال لأحد الأولياء؟ وهل يقر الإسلام هذه النذور؟

ج ٢: وردت الآيات صريحة في أن النذر لا يجوز إلا لله، والنذر لغير الله شرك، فالنذر طاعة، ولا طاعة لغير الله.

والله من وراء القصد.

قيام الليل.. باب الاستقامة

«التحرير»

في هذا الزمن الذي اقشعرت الأرض فيه، وظهر الفساد في البر والبحر من ظلم الفجرة، ذهبت البركات، وقلت الخيرات، وشكا الكرام الكاتبون إلى ربهم من كثرة الفواحش، قل الصالحون فلا تجدهم، وتكالب الأعداء على الموحدين. أصبحت القلوب قاسية، والأعين جامدة، طال الأمد على الكثير حتى على الملتزمين فأصبحوا لا يجدون للطاعة حلاوة، وأصبحت الحياة مليئة بالملل!!

وسط كل هذا ومع رغبة في العلاج، مع شوق للمغفرة، وطمع في الرحمة، ولهفة للجنة، وأمل في طرد الغفلة، وظمأ للنصر على الكفرة، أدلك إن شاء الله على باب الاستقامة بعد التوحيد.. إنه قيام الليل.. يحل لك كل هذا ولا تعجب.

فألزم ساقيك في الليل المحراب، فإنه للاستقامة باب!

قيام الليل شريعة ربانية. سنة نبوية. خصلة حميدة سلفية. مدرسة تربوية. دموع وعبرات قلبية. وأهات وزفرات شجية. خلوة برب البرية. روضة ندية. سعادة روحية. قوة جسمانية. تعل فوز بالجنان العلية.

والله لا يعلم لذة قيام الليل ولا قدره إلا أهله، ومساكين أهل الغفلة عن قيام الليل هم وأهل الدنيا في واد، والقائمون الليل في واد. ولسوف يعلمون من الفائز يوم التناد! وأين هي اللذة الحقيقية!!

فهيا يا أخي الحبيب نطوف معًا في هذه الروضة..

أولا: من ثمرات قيام الليل وفوائده:

١- قيام الليل والتسبيح فيه يورث العبد الرضا: قال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى ﴾ [طه: ١٣٠].

٢- قيام الليل سبب للفهم عن الله والتوفيق: قال تعالى: ﴿ إِنَّ نَاشِئَةَ اللَّيْلِ هِيَ أَشَدُّ وَطْئًا وَأَقْوَمُ قِيلاً ﴾ [المزمل:٦]، أي أن قيام الليل أبلغ في الحفظ وأثبت في الخير وعبادة الليل أشد نشاطًا وأتم إخلاصًا وأكثر بركة.

٣- قيام الليل يطرد الغفلة: ففي الحديث الصحيح: «من قام بعشر آيات لم يكتب من الغافلين، ومن قام بمائة آية كتب من القانتين، ومن قام بألف آية كتب من المقنطرين». [رواه أبو داود وابن حبان]. والقنطار ألف ومائتا أوقية- والأوقية خير مما بين السماء والأرض.

قال يحيى بن معاذ: «دواء القلب خمسة أشياء: قراءة القرآن بالتفكر، وخلاء البطن، وقيام الليل، والتضرع عند السحر، ومجالسة الصالحين».

٤، ٥، ٦، ٧، ٨- قيام الليل دأب الصالحين وقربى إلى الله ومنهاة عن الإثم وتكفير للسيئات ومطردة للداء عن الجسد. ففي الحديث الصحيح: «عليكم بقيام الليل فإنه دأب الصالحين قبلكم، وقربة إلى الله تعالى، ومنهاة عن الإثم، وتكفير للسيئات، ومطردة للداء عن الجسد». [صحيح. رواه أحمد والترمذي والحاكم وغيرهم].

قال ابن الحاج: «وفي القيام من الفوائد أنه يحط الذنوب كما يحط الريح العاصف الورق الجاف من الشجرة، وينور القبر، ويحسن الوجه، وينشط البدن».

٩- قيام الليل شرف المؤمن: ففي الحديث الحسن: «واعلم أن شرف المؤمن قيامه بالليل». [الحديث حسن. السلسلة الصحيحة (٨٣١)].

١٠- قيام الليل يجعل المتهجد طيب النفس: ففي الحديث الصحيح: «فإن صلى انحلت عقده كلها، فأصبح نشيطًا طيب النفس». [جزء من حديث رواه البخاري ومسلم].

١١- المتهجدون خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره:

قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ مُسْفِرَةٌ. ضَاحِكَةٌ مُسْتَبْشِرَةٌ﴾ [عبس:٣٨،٣٩]، قال ابن عباس رضي الله عنهما: «من قيام الليل».

وقيل للحسن البصري: ما بالُ المتهجدين بالليل من أحسن الناس وجوهًا؟ قال: لأنهم خلوا بالرحمن فألبسهم من نوره.

وقال سعيد بن المسيب رحمه الله: إن الرجل لَيُصلي بالليل، فيجعل الله في وجهه نورًا يحبه عليه كل مسلم، فيراه من لم يره قط. فيقول: إني لأحبُ هذا الرجل.

١٢- قيام الليل سبب لإجابة الدعاء: ففي صحيح البخاري، من تعار من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير، الحمد لله وسبحان الله، ولا إله إلا الله، والله أكبر ولا حول ولا قوة إلا بالله. ثم قال: «اللهم اغفر لي» أو دعا استُجيب له.

١٣- قيامُ الليل من موجبات الرحمة: قال تعالى: ﴿أَمْ مَنْ هُوَ قَانِتٌ آنَاءَ اللَّيْلِ سَاجِدًا وَقَائِمًا يَحْذَرُ الآخِرَةَ وَيَرْجُو رَحْمَةَ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٩]، وفي الحديث الصحيح «رحِمَ الله رجلا قام من الليل وأيقظ امرأته فصلت، فإن أبت نضح في وجهها الماء، ورَحِمَ الله امرأة قامت من الليل فصلت وأيقظت زوجها فصلى فإن أبى نضحت في وجهه الماء».

١٤- وفي الحديث الحسن «الرجل من أمتي يقوم من الليل يعالج نفسه إلى الطهور، وعليه عقد، فإذا وضأ يديه انحلت عقدة، وإذا وضأ وجهه انحلت عقدة، وإذا مسح رأسه انحلت عقدة، وإذا وضأ رجليه انحلت عقدة، فيقول الله عز وجل للذين وراء الحجاب: انظروا إلى عبدي هذا يعالج نفسه ويسألني. ما سألني عبدي فهو له.

١٥- التهجد سبب لحسن الخاتمة: فانظر إلى المتهجدين كيف ماتوا؟ نعم من صَفَى صُفي له، وإنما يُكال للعبد كما كال.. من نصب قدميه في محرابه باكيًا متضرعًا في سواد الليل، كانت له الخاتمة الطيبة، فانظر إلى تهجد سالم مولى أبي حذيفة وثابت بن قيس كيف استُشهد؟ وعبد الله ذي البجادين المتهجد الأواه وحسن خاتمته حتى قال ابن مسعود أمام قبره: يا ليتني كنت صاحب القبر.

١٦- قيام الليل يهون من طول القيام في عرصات القيامة: قال ابن عباس: من أحب أن يهون الله عليه طول الوقوف يوم القيامة، فليره الله في ظلمة الليل ساجدًا وقائمًا يحذر الآخرة».

١٧- قيام الليل يُنجي من النيران: ففي حديث عبد الله بن عمر المتفق عليه «... فجعلتُ أقول: أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار، أعوذ بالله من النار. قال فلقيهما ملك فقال لي: لم ترع، فقصصتها على حفصة فقصتها حفصة على رسول الله ﷺ فقال: نعم الرجل عبد الله لو كان يصلي من الليل. قال القرطبي: حصل لعبد الله من ذلك تنبيه على أن قيام الليل مما يُتَقي به من النار والدنو منها فلذلك لم يترك قيام الليل بعد ذلك».

١٨- قيام الليل يورث سكن الغرف في أعالي الجنان: قال تعالى: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ. فَلاَ تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [السجدة: ١٦- ١٧].

وفي الحديث: «إن في الجنة غرفًا يُرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها، أعدها الله تعالى لمن أطعم الطعام وأفشى السلام وصلى بالليل والناس نيام». [حسنه الألباني في صحيح الجامع (٢١٢٣)].

١٩- قيام الليل مهر الحور الحسان: ما يكون جزاء من ترك دفء الفراش وقام من بين حبه وأهله إلا الفوز بالحور الحسان، أو ما علمت أن المتهجد إذا قام إلى تهجده قالت الملائكة: قد قام الخاطب إلى خطبته.

٢٠- التجهد سبيل النصر على الأعداء: فالجهاد يُسقى بدمع التجهد، ولا ينتصر على العدو في ساحة القتال، إلا من انتصر على نفسه وشيطانه في قيام الليل!

ولما هُزم الروم أمام المسلمين، قال هرقل لجنوده: ما بالكم تنهزمون؟ فقال شيخ من عظماء الروم: من أجل أنهم يقومون الليل ويصومون النهار.

وقال الأمراء الصليبيون إن القسيم بن القسيم- يعنون نور الدين زنكي- له مع الله سر فإنه لم يظفر ويُنصر علينا بكثرة جنده وجيشه، وإنما يظفر علينا ويُنصر بالدعاء وصلاة الليل، فإنه يصلي بالليل ويرفع يده إلى الله يدعو، فإنه يستجيب له ويعطيه سؤله فيظفر علينا.

وأخيرًا فثواب القيام لا تحيط به العقول وتقصر

عنه العبارات ويكفيك الحديث الصحيح «إذا استيقظ الرجل من الليل، وأيقظ أهله وصليا ركعتين كُتبا من الذاكرين الله كثيرًا والذاكرت». [صححه الألباني في صحيح الجامع] . فما حدُ كثيرًا؟!

قال ابن مسعود رضي الله عنه: من قال في قيام الليل سبحان الله، والحمد لله، ولا إله إلا الله، والله أكبر، ولا حول ولا قوة إلا بالله كان له من الأجر كألف ألف حسنة.

ثانيا: ما يعين على التهجد وقيام الليل

(أ) الأسباب الظاهرة:

١- قلة الطعام وعدم الإكثار منه: ففي الحديث الحسن «.. أقصر من جُشائك، فإن أكثر الناس شبعًا في الدنيا أكثرهم جوعًا في الآخرة».

وقال وهب بن منبه: ليس من بني آدم أحب إلى شيطانه من الأكول النوام. فمن أكل كثيرًا فنام كثيرًا فخسر كثيرًا يوم القيامة.

٢- الاقتصاد في الكد نهارًا: فلا يتعب نفسه بالنهار في الأعمال التي تعيا بها الجوارح، وتضعف بها الأعصاب، فإن ذلك مجلبة للنوم، وعليه بالقصد في هذه الأعمال، وأن يتجنب فضول الكلام، وفضول المخالطة التي تشتت القلب.

٣- الاستعانة بالقيلولة نهارًا فإنها سنة. ففي الحديث الحسن: قيلوا فإن الشياطين لا تقيل ومر الحسن بقوم في السوق فرأى صخبهم ولغطهم فقال: أما يقيل هؤلاء؟ قالوا: لا. قال: إني لأرى ليلهم ليل سوء.

٤- ترك المعاصي فقد قيدتنا خطايانا.. قال رجل للحسن البصري: يا أبا سعيد: إني أبيت مُعافى، وأحب قيام الليل وأعد طهوري فما بالي لا أقوم؟ فقال: ذنوبك قيدتك.

وقال الثوري: حُرمتُ قيام الليل خمسة أشهر بذنب أذنبته. قيل وما هو؟ قال: رأيت رجلا يبكي فقلت في نفسي. هذا مُراء»

وقال الفضيل بن عياض: إذا لم تقدر على قيام الليل وصيام النهار، فاعلم أنك محروم مُكبل كبلتك خطيئتك.

وقيل للحسن: عجزنا عن قيام الليل. قال: قيدتكم خطاياكم، إنما يؤهل الملوك للخلوة بهم من يصدق في ودادهم ومعاملتهم، فأما من كان من أهل مخالفتهم فلا يرضونه لذلك.

٥- طيب المطعم وأكل الحلال والابتعاد عن الحرام. فكم من أكلة منعت قيام ليلة، وإن العبد ليأكل أكلة فيُحرم قيام سنة، لأنه لم يتجنب أكل الشبهات.

وقال سهل بن عبد الله التستري رحمه الله: من أكل الحلال أطاع الله شاء أم أبى.

وقال إبراهيم بن أدهم: إطب مطعمك ولا عليك أن لا تقوم بالليل وتصوم النهار.

٦- ترك السمر بعد العشاء والنوم مبكرًا. ففي الحديث الصحيح: لا سمر إلا لمصل أو مسافر وكان عمر بن الخطاب ينش الناس بدرته بعد العتمة يقول: قوموا لعل الله يرزقكم صلاة. وكان يضرب الناس بالدرة بعد صلاة العشاء ويقول: أسمرٌ أول الليل ونومٌ آخره؟!

وكان معاوية بن قرة يقول أن أباه كان يقول لبنيه إذا صلى العشاء مباشرة ويُستثنى من ذلك الأحوال الآتية (الضيف- مذاكرة العلم- مداعبة الزوجة- مصالح الأمة) بشرط ألا يؤدي أي حال إلى إضاعة الصلاة.

٧- عدم المبالغة في حشو الفراش. لأن ذلك يؤدي للاستغراق في النوم ويجلب الكسل والخمول. ولقد كان صفوان بن سُليم ينام في الشتاء على السطح وفي الصيف في وسط البيت حتى لا يستغرق في النوم، وكان العُبّاد ينامون في الشتاء في ثوب واحد ليمنعهم البرد من النوم.

(ب) الأسباب الباطنة الميسرة لقيام الليل:

١- الإخلاص، فإذا قمت لله فلا يكن في قلبك إلا الله وعلى قدر نيتك تنال الرحمة من ربك.

٢- يقينك أن الكبير المتعال هو الذي يدعوك للقيام.

٣- علمك بأن إمام المتجهدين يدعوك ويحثك على القيام فقل له على العينين والرأس.

٤- معرفة مدى أنس السلف وتلذذهم بالتهجد: قال أبو سليمان الداراني: لأهلُ الطاعة في ليلهم ألذ من أهل اللهو بلهوهم. وقال ثابت البناني: ما شيء أجده في قلبي ألذ عندي من قيام الليل.

٥- يقينك أنك بعين الله وأن الله يرى ويسمع صلاتك بالليل.

٦- علمك بمدى حرص رسولك ﷺ على القيام والاجتهاد فيه فلقد كان ﷺ يقوم من الليل حتى تتورم قدماه وقد غفر الله ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

٧- النوم على نية القيام للتهجد ليكتب لك والنوم

على طهارة على الجانب الأيمن والمواظبة على أذكار النوم.

٨- سؤال المولى عز وجل ودعاؤه أن يمُن عليك بالقيام (اللهم اشفني باليسير من النوم، وارزقني سهرًا في طاعتك).

٩- علمك بمدى اجتهاد الصحابة والسلف في قيام الليل.

١٠- علمك أن الشيطان يوسوس لك ويحاول منعك من القيام، فكيف تطيعه وهو عدوك وكيف تنام فيبول في أذنك.

١١- محاسبة النفس وتوبيخها على قيام الليل إن فرطت فيه.

١٢- علمك ببكاء السلف وتحسرهم على فوات قيام الليل: قال أبو إسحاق السُبيعي: ذهبت الصلاة مني وضُعفت ورق عظمي، وإني اليوم أقوم في الصلاة فما أقرأ إلا بالبقرة وآل عمران!!

١٣- وضع الجنة والنار نصب عينيك.

١٤- اتهام النفس دائمًا بالتقصير في القيام ومعاقبة النفس على ترك القيام. نام الصحابي تميم الداري ليلة فلم يقم للتهجد فقام سنة لم ينم فيها عقوبة للذي صنع.

١٥- معرفة وصايا السلف في الحث على القيام وقراءة تراجم المتهجدين والعيش معهم.

١٦- الزهد في الدنيا وكثرة ذكر الموت وقصر الأمل وهذا أسلوب نبوي في تربية الصحابة على قيام الليل ففي الحديث «كان النبي ﷺ إذا ذهب ثلث الليل قام فقال: يا أيها الناس اذكروا الله، جاءت الراجفة، من خاف أدلج ومن أدلج بلغ المنزل، ألا إن سلعة الله غالية، ألا إن سلعة الله الجنة، جاءت الراجفة، تتبعها الرادفة، جاء الموت بما فيه.

وانظر إلى حفصة بنت سيرين وكيف أنها إذا قامت الليل لبست كفنها، ومعاذة العدوية تقول: يا نفس هذه ليلتك التي فيها تموتين، فتحيي الليل صافة قدمها!

ثالثا: آداب قيام الليل:

١- الإخلاص وترك العجب. فقيام الليل عبادة عنوانها وتاجها الإخلاص. فعلى العبد أن يعلم عيوبه وآفاته وتقصيره ويعلم ما يستحقه الله عز وجل من العبودية وأنه أعجز ما يكون أن يوفي حق الله.

قال مطرف بن عبد الله: لأن أبيت نائمًا وأصبح نادمًا أحب إليّ من أن أبيت قائمًا وأصبح معجبًا، وقيل لمحمد بن واسع: قد نشأ شباب يصومون النهار ويقومون الليل ويجاهدون في سبيل الله قال بلى: ولكن أفسدهم العجب. فإياك والرياء والعجب وتذكر قول النبي ﷺ: «صلاة الرجل تطوعًا حيث لا يراه الناس تعدل صلاته على أعين الناس خمسًا وعشرين». [حديث حسن بطريقين (٣٨٢١) صحيح الجامع)].

٢- اتباعك لهدي النبي ﷺ في القيام بالآتي:

الاغتسال والتطيب ولبس الثياب الحسنة- التسوك لقيام الليل- غسل اليد قبل غمسها في إناء الوضوء، والوضوء وضوءًا حسنًا- الحرص على أذكار القيام والاستفتاح والتاسي بالرسول ﷺ في كيفية صلاته (فينظر في السماء ويقرأ الآيات التي في آخر آل عمران كما في الصحيحين ويصلي مثنى مثنى ويستفتح بركعتين خفيفتين ولا يزيد عن إحدى عشر ركعة)- ترديد الآية وتدبر ما فيها ويجوز أن يردد السورة ويتعوذ عند ذكر النار، ويسأل الله الجنة عند ذكر آيات الجنة وهكذا- البكاء- ترك القيام عند النعاس الشديد- النهي عن تخصيص ليلة الجمعة بقيام- إيقاظ الأهل والصبية ومن يليه لقيام الليل- الفصل بين صلاة الليل بالتسبيح بين كل ركعتين لتسكن الجوارح وتزول سآمة النفس للقيام قال تعالى: ﴿وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠] أي أعقاب الصلاة.

وأخيرًا وفقني الله وإياك إلى قيام الليل والاجتهاد فيه، فلنبدأ من الآن والنهاية عند الممات ولنواظب عليه ولو بمائة آية في أول الأمر فخير الأعمال أدومها وإن قل.

قال عتبة الغلام: كابدت قيام الليل عشرين سنة وتلذذت به عشرين سنة.

فيا نائمًا عن قيام الليل في ثنايا السيل. ضج الليل من كثرة منامك، واشتكى الفراش من كثرة رقادك، وتعجبت الحور من قسوة جفائك، وبكى الحفظة من فوات أرباحك، فأحب من يحبك، واشتغل بمن يشتاق إليك، وقف بين يدي مولاك، وتعرض لنفحة من نفحاته ولو للحظة عساك تفلح. ففي لحظة واحدة أفلح السحرة.

تعلن مجلة التوحيد

عن وجود مجلدات مجلة التوحيد للبيع وقد تقرر أن يكون سعر المجلد لأي سنة داخل مصر للأفراد والهيئات والمؤسسات ودور النشر ١٨ جنيها مصريًا. وفروع أنصار السنة ١٥ جنيها مصريًا. ويتم البيع للأفراد خارج مصر بسعر ١٠ دولارات أمريكية. والهيئات والمؤسسات ودور النشر ٨ دولارات أمريكية.

مفاجأة كبرى

لأول مرة نقدم لك كرتونة كاملة تحتوي على ٣٠ مجلدًا من مجلة التوحيد ٣٠ سنة كاملة:

- ٥٠٠ جنيهًا للكرتونة للأفراد والهيئات والمؤسسات داخل مصر.
- ١٢٥ دولارًا لمن يطلبها خارج مصر بخلاف سعر الشحن.
- ٧٥ دولارًا للشحن.

مكان البيع بالمركز العام الدور السابع المجلة: ٣٩٣٦٥١٧ الاشتراكات: ٣٩١٥٤٥٦

دعوة لنشر التوحيد عبر

الحمد لله وبعـــد :

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات. فكثير من المفاهيم الشرعية والمعرفية استطاعت وسائل الإعلام تزييفها وتغييرها، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعبدت القبور وذبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُّبِعَت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء- مجلة التوحيد - منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عاماً.

ومن هذا المنطلق ندعوكم أيها الأخوة - حفظكم الله - إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل ؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً أو ١٥ جنيهاً مصرياً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و ٢٠ دولاراً قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق . فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ : « من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه ».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة بنكية أو سويفت أو تلكس أو شيك مصرفي على بنك فيصل الاسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد - أنصار السنة - وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه.

أسرة مجلة التوحيد